

سورة الإنسان

مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمِقَاتِلِ وَالْكَلْبِيِّ (١). وَقَالَ الْجُمْهُورُ: مَدَنِيَّةٌ (٢). وَقِيلَ:
فِيهَا مَكِّيٌّ، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ [الآية: ٢٣] إِلَى آخِرِ
السُّورَةِ، وَمَا تَقَدَّمَ مَدَنِيٌّ (٣).

وَهِيَ إِحْدَى ثَلَاثُونَ آيَةً

وَذَكَرَ ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: وَحَدَّثَنَا ابْنُ زَيْدٍ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيَقْرَأُ: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى
الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ وَقَدْ أَنْزَلَتْ عَلَيْهِ، وَعِنْدَهُ رَجُلٌ أَسْوَدٌ كَانَ يَسْأَلُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ
لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: لَا تُثْقِلْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «دَعُوهُ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ» قَالَ: فَنَزَلَتْ
عَلَيْهِ هَذِهِ السُّورَةُ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَلَمَّا قَرَأَهَا عَلَيْهِ وَبَلَغَ صِفَةَ الْجِنَانِ، زَفَرَ زَفْرَةً فَخَرَجَتْ
نَفْسُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَخْرَجَ نَفْسَ صَاحِبِكُمْ - أَوْ أُخِيكُمْ - الشُّوقُ إِلَى الْجَنَّةِ»
وَرَوَى عَنْ ابْنِ عُمَرَ بِخِلَافِ هَذَا اللَّفْظِ، وَسَيَأْتِي (٤).

وَقَالَ الْقُسَيْرِيُّ: إِنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ. وَالْمَقْصُودُ مِنَ
السُّورَةِ عَامٌّ. وَهَكَذَا الْقَوْلُ فِي كُلِّ مَا يُقَالُ: إِنَّهُ نَزَلَ بِسَبَبِ كَذَا وَكَذَا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ ① إِنَّا
خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ② إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ
إِنَّمَا شَاكَرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا ③ ﴿

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ «هَلْ» بِمَعْنَى:

(١) النكت والعيون ٦/١٦١ .

(٢) زاد المسير ٨/٤٢٧ .

(٣) المصدران السابقان.

(٤) ص ٤٨٦ من هذا الجزء.

قد؛ قاله الكسائي والفراء وأبو عبيدة^(١). وقد حُكي عن سيبويه: «هَلْ» بمعنى قد^(٢). قال الفراء^(٣): «هل» تكون جَحْدًا، وتكون خبرًا، فهذا من الخبر؛ لأنك تقول: هل أعطيتك؟ تقرّره بأنك أعطيتّه. والجحد أن تقول: هل يُقدّر أحدٌ على مثل هذا؟ وقيل: هي بمنزلة الاستفهام، والمعنى: أتى^(٤).

والإنسان هنا آدم عليه السلام؛ قاله قتادة والثوري وعكرمة والسدي^(٥). وروي عن ابن عباس.

﴿حِينَ مِنَ اللَّذَّهِرِ﴾ قال ابن عباس في رواية أبي صالح: أربعون سنة مرّت به قبل أن ينفخ فيه الروح، وهو ملقى بين مكة والطائف. وعن ابن عباس - أيضاً - في رواية الضحاك: أنه خلق من طين، فأقام أربعين سنة، ثم من حمًا مسنون أربعين سنة، ثم من صلصال أربعين سنة، فتمّ خلقه بعد مئة وعشرين سنة. وزاد ابن مسعود فقال: أقام وهو من تراب أربعين سنة، فتمّ خلقه بعد مئة وستين سنة. ثم نُفخ فيه الروح. وقيل: الحين المذكور هاهنا لا يُعرف مقداره؛ عن ابن عباس أيضًا، حكاه الماوردي^(٦).

﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ قال الضحاك عن ابن عباس: لا في السماء ولا في الأرض^(٧). وقيل: أي: كان جسدًا مصورًا ترابًا وطينًا، لا يُذكر ولا يعرف، ولا يُدرى ما اسمه ولا ما يراد به، ثم نُفخ فيه الروح، فصار مذكورًا؛ قاله الفراء وقُطرب

(١) كلام الفراء في معاني القرآن له ٢١٣/٣، وكلام أبي عبيدة في مجاز القرآن له ٢٧٩/٢.

(٢) المحرر الوجيز ٤٠٨/٥.

(٣) في معاني القرآن ٢١٣/٣.

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ١٦١/٦ عن ابن عيسى.

(٥) النكت والعيون ١٦١/٦ دون ذكر الثوري، وأخرجه الطبري ٥٢٩/٢٣ - ٥٣٠ عن قتادة وسفيان.

(٦) في النكت والعيون ١٦٢/٦.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط ٣٩٨/٤ دون نسبة.

وثعلب. وقال يحيى بن سلام: لم يكن شيئاً مذكوراً في الخلق وإن كان عند الله شيئاً مذكوراً^(١).

وقيل: ليس هذا الذُّكْرُ بمعنى الإخبار، فإنَّ إخبار الربِّ عن الكائنات قديم، بل هذا الذُّكْرُ بمعنى الخطر والشرف والقدر؛ تقول: فلان مذكور، أي: له شرف وقدر. وقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] أي: قد أتى على الإنسان حين لم يكن له قدر عند الخليفة. ثم لما عرَّفَ اللهُ الملائكة أنه جعل آدم خليفة، وحمَّله الأمانة التي عَجَزَ عنها السماواتُ والأرضُ والجبال، ظهر فضله على الكلِّ، فصار مذكوراً. قال القشيري: وعلى الجملة؛ ما كان مذكوراً للخلق، وإن كان مذكوراً لله. وحكى محمد بن الجهم عن الفراء^(٢): «لَمْ يَكُنْ شَيْئًا» قال: كان شيئاً ولم يكن مذكوراً.

وقال قوم: النفي يرجع إلى الشيء، أي: قد مضى مُدَدٌ من الدهر وآدم لم يكن شيئاً يذكر في الخليفة؛ لأنه آخر ما خلقه من أصناف الخليفة، والمعدوم ليس بشيء حتى يأتي عليه حين. والمعنى: قد مضت عليه أزمانٌ وما كان آدم شيئاً، ولا مخلوقاً، ولا مذكوراً لأحد من الخليفة. وهذا معنى قول قتادة ومقاتل؛ قال قتادة: إنما خلق الإنسان حديثاً، ما يُعلم من خليفة الله جلَّ ثناؤه خليفةً كانت بعد الإنسان^(٣).

وقال مقاتل: في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: هل أتى حين من الدهر لم يكن الإنسان شيئاً مذكوراً؛ لأنه خلقه بعد خلق الحيوان كلِّه، ولم يخلق بعده حيواناً^(٤).

وقد قيل: «الإنسان» في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ﴾ عني به الجنس من ذرية آدم^(٥)، وأنَّ الحين تسعة أشهر، مدَّة حمل الإنسان في بطن أمه «لم يكن شيئاً

(١) النكت والعيون ١٦٢/٦، وكلام الفراء في معاني القرآن له ٢١٣/٣ بنحوه.

(٢) الكلام في معاني القرآن له ٢١٣/٣.

(٣) أخرجه الطبري ٥٢٩/٢٣.

(٤) النكت والعيون ١٦٢/٦.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٩٥/٥، والكشاف ١٩٤/٤، والمحرم الوجيز ٤٠٨/٥.

مذكورًا»؛ إذ كان علقمة ومضغة؛ لأنه في هذه الحالة جمادًا لا خطر له.

وقال أبو بكر رضي الله عنه لَمَّا قرأ هذه الآية: ليثها تَمَّت فلا نُبتلى^(١). أي: ليت المدَّة التي أنت على آدم لم تكن شيئًا مذكورًا تَمَّت على ذلك، فلا يلد ولا يُبتلى أولاده.
وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلًا يقرأ: ﴿هَلْ أَقَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ فقال: ليثها تَمَّت^(٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ أي: ابن آدم، من غير خلاف^(٣) ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: من ماء يقطر، وهو المنيّ، وكلُّ ماءٍ قليل في وعاء فهو نطفة^(٤)؛ كقول عبد الله ابن رواحة يعاتب نفسه:

مالي أراك تَكْرهين الجَنَّةَ هل أنتِ إِلَّا نطفةٌ في سَنَّةِ^(٥)
وجمعها: نُطف ونُطف.

﴿أَمْشَاجٍ﴾: أخلاط. واحدها: مِشْج ومِشِيج، مثل: خِذْنِ وخِذِين^(٦)؛ قال رؤبة:
يَظْرَحْنَ كُلَّ مُعْجَلٍ نَشَاجٍ لَمْ يُكْسَ جِلْدًا فِي دَمِ أَمْشَاجٍ^(٧)
ويقال: مَشَجْتُ هذا بهذا، أي خلطته، فهو مَمَشُوج ومِشِيج؛ مثل: مَخْلُوط
وَحَلِيط.

وقال المبرِّد: واحد الأمشاج: مِشِيج؛ يقال: مَشَجَ يَمَشِجُ: إذا خلط، وهو هنا

(١) مجاز القرآن ٢/٢٧٩، وينظر الكشاف ٤/١٩٤.

(٢) الوسيط للواحدي ٤/٣٩٨، وتفسير البغوي ٤/٤٢٦.

(٣) النكت والعيون ٦/١٦٢، والمحرر الوجيز ٥/٤٠٨.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٥/٩٥.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/٣٧٩.

(٦) تفسير البغوي ٤/٤٢٦. وقال الفيروز أبادي في القاموس (مشج): شيء مشج، كقتيل، وسبب، وكنتف... ج: أمشاج.

(٧) ديوان رؤبة ص ٣٢، وقوله: نَشَاجٍ؛ قال في القاموس (نشج): نَشَجَ الباكي يَنْشِجُ نشيجًا: غَصَّ بالبكاء في حلقه من غير انتحاب.

اختلاط النطفة بالدم؛ قال الشَّمَاخ:

طوت أحشاء مُرْتَجَةً لِوَقْتِ عَلَى مَشِجٍ سُلَالَتُهُ مَهِينٍ^(١)

وقال الفراء^(٢): أمشاج: أخلاط ماء الرجل وماء المرأة، والدم والعلقة. ويقال

للشيء من هذا إذا خُلط: مَشِيج، كقولك خَلِيط، ومَمَشُوج، كقولك: مَخْلُوط.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: الأمشاج: الحُمرة في البياض، والبياض في

الحُمرة. وهذا قولٌ يختاره كثيرٌ من أهل اللغة؛ قال الهذلي:

كَأَنَّ الرَّيْشَ وَالْفُوقَيْنِ مِنْهُ خِلَافَ النَّضْلِ سَيْطَ بِهِ مَشِيجٌ^(٣)

وعن ابن عباس أيضًا قال: يختلط ماء الرجل - وهو أبيض غليظ - بماء المرأة

- وهو أصفر رقيق - فيُخلق منهما الولد، فما كان من عَصَبٍ وَعَظْمٍ وَقُوَّةٍ، فهو من ماء

الرجل، وما كان من لحم ودم وشعر، فهو من ماء المرأة^(٤). وقد روي هذا مرفوعًا؛

ذكره البزار^(٥).

وروي عن ابن مسعود: أمشاجها: عروق المضغعة. وعنه: ماء الرجل وماء

المرأة، وهما لوانان. وقال مجاهد: نطفة الرجل بيضاء وحمراء، ونطفة المرأة خضراء

(١) الديوان ص ٣٢٨، والكامل للمبرد ١٠١٧/٢، والخزانة ٣٤٩/٤. قال البغدادي: أي: هذه الأنان

ضمت أحشاء مرتجة، أراد رحمها، أي: أغلقت رحمها على ماء الفحل. والمشج، بفتح الميم وكسر

الشين: ماء الفحل مع الدم، وقيل: ماء الفحل والأنان جميعاً يختلطان. وسلالته، أي: ماؤه، وهو فاعل

مشج، ويقال: السلالة الولد، وهو الرقيق. ومهين ضعيف، وهو صفة مشج.

(٢) في معاني القرآن ٣/٢١٤.

(٣) البيت لعمر بن الداهل الهذلي، وهو في ديوان الهذليين ١٠٤/٣، والكامل ١٠١٦/٢، وفيه:

الشرخين، بدل: الفُوقين. الفُوق: موضع الوتر من السهم. منه، أي: من السهم. خلاف النصل: بعد

النصل. سيط: خُلط.

(٤) تفسير البغوي ٤/٤٢٦ - ٤٢٧.

(٥) في مسنده (٢٣٧٥) كشف الأستار) بنحوه، وقال: لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا من هذا الوجه، وقد

روي نحوه عن غيره من وجوه. اهـ. وأخرجه (٢٣٧٦)، (٢٣٧٧) من حديث عبد الله بن مسعود.

والحديثان عند أحمد (٢٥١٤)، (٤٤٣٨).

وصفراء. وقال ابن عباس: خلق من ألوان؛ خلق من تراب، ثم من ماء الفرج والرَّجْم، وهي نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظم، ثم لحم.

ونحوه قال قتادة: هي أطوار الخلق: طورًا نطفة، وطورًا علقة، وطورًا مضغة، وطورًا عظام، ثم يكسو العظام لحمًا^(١)؛ كما قال في سورة المؤمنون: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ الآية [١٢].

وقال ابن السكيت: الأمشاج: الأخلاط؛ لأنها ممتزجة من أنواع، فخلق الإنسان منها ذا طبائع مختلفة. وقال أهل المعاني: الأمشاج ما جمع وهو في معنى الواحد؛ لأنه نعت للنطفة؛ كما يقال: بُرْمَةٌ أعْشَار، وثوبٌ أخلاق^(٢).

وروي عن أبي أيوب الأنصاري قال: جاء حبر من اليهود إلى النبي ﷺ فقال: أخبرني عن ماء الرجل وماء المرأة. فقال: «ماء الرجل أبيض غليظ، وماء المرأة أصفر رقيق، فإذا عَلَا ماءُ المرأةِ آنَثَتْ، وإذا عَلَا ماءُ الرجلِ أَذْكَرَتْ» فقال الحبر: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسولُ الله^(٣). وقد مضى هذا القولُ مستوفى في سورة البقرة^(٤).

﴿تَبْتَلِيهِ﴾ أي: نختبره. وقيل: نقدّر فيه الابتلاء، وهو الاختبار. وفيما يختبر به وجهان: أحدهما: نختبره بالخير والشر؛ قاله الكلبي. الثاني: نختبر شكره في السراء وصبره في الضراء؛ قاله الحسن.

وقيل: «تَبْتَلِيهِ»: نُكَلِّفُهُ. وفيه أيضًا وجهان: أحدهما: بالعمل بعد الخلق؛ قاله

(١) أخرج هذه الآثار الطبري ٥٣٣/٢٣ - ٥٣٥.

(٢) البُرْمَةُ: قِدْرٌ، من حجارة. وقُدْرٌ أعشار: مكسرة على عشر قطع. وثوبٌ أخلاق: إذا كانت الخُلُوقَة (أي: البَلَى) فيه كلُّه. القاموس (برم، قدر، خلق).

(٣) لم نقف عليه عن أبي أيوب الأنصاري، وأخرج نحوه البخاري (٣٣٢٩) عن أنس، ومسلم (٣١٥) عن ثوبان. وسلف حديث ثوبان ١٤/٥.

(٤) استوفاه المؤلف في سورة الشورى ٥٠٢/١٨ وما بعدها.

مقاتل. الثاني: بالذنين؛ ليكون مأمورًا بالطاعة ومنهياً عن المعاصي^(١).

وروي عن ابن عباس: «تَبْتَلِيهِ»: نصرّفه خلقاً بعد خلق؛ لتبتيه بالخير والشر^(٢).

وحكى محمد بن الجهم عن الفراء قال: المعنى والله أعلم: «فَجَعَلْنَاهُ سَمِيْعًا بَصِيْرًا» لتبتيه، وهي مُقَدِّمَةٌ معناها التأخير^(٣).

قلت^(٤): لأن الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخِلْقَة .

وقيل: «جَعَلْنَاهُ سَمِيْعًا بَصِيْرًا»: يعني: جعلنا له سمعاً يسمع به الهدى، وبصراً يُبصر به الهدى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ أي: بيّنا له وعرفناه طريق الهدى والضلال، والخير والشرّ ببعث الرسل، فأمن أو كفر؛ كقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]. وقال مجاهد: أي: بيّنا له السبيل إلى الشقاء والسعادة. وقال الضحّاك وأبو صالح والسُّدِّيّ: السبيل هنا خروجه من الرّجَم. وقيل: منافعه ومضارّه التي يهتدي إليها بطبعه وكمال عقله^(٥).

﴿إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ أي: أيّهما فعل فقد بيّنا له. قال الكوفيون: «إن» ها هنا تكون جزاء، و«ما» زائدة. أي: بيّنا له الطريق إن شكر أو كفر. واختاره الفراء^(٦)، ولم يُجزّه البصريّون؛ إذ لا تدخل «إن» للجزاء على الأسماء، إلا أن يُضمَر بعدها فعل^(٧).

وقيل: أي: هديناه الرُّشد، أي: بيّنا له سبيل التوحيد بنصب الأدلة عليه؛ ثم إن

(١) النكت والعيون ١٦٣/٦ .

(٢) الكشاف ١٩٥/٤ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/٢١٤ . وقد رده النحاس في إعراب القرآن ٥/٩٥ - ٩٦ ، والزمخشري في الكشاف ١٩٥/٤ .

(٤) لفظة: قلت، ليست في (ز) و(ظ) و(ي).

(٥) النكت والعيون ١٦٤/٦ ، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٣/٥٣٧ - ٥٣٨ .

(٦) في معاني القرآن ٣/٢١٤ .

(٧) الكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٢/٧٨٢ ، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/٩٦ .

خلقنا له الهداية اهتدى وآمن، وإن خذلناه كَفَر. وهو كما تقول: قد نصحت لك، إن شئت فاقبل، وإن شئت فاترك، أي: فإن شئت، فتحذف الفاء. وكذا «إِذَا شَاكِرًا»، والله أعلم.

ويقال: هديته السبيلَ وللسبيلِ وإلى السبيلِ^(١). وقد تقدّم في «الفاتحة» وغيرها^(٢).

وجمع بين الشاكر والكفور، ولم يجمع بين الشكور والكفور مع اجتماعهما في معنى المبالغة؛ نفيًا للمبالغة في الشكر، وإثباتًا لها في الكفر؛ لأن شكر الله تعالى لا يُؤدّي، فانفتت عنه المبالغة، ولم تنتفِ عن الكفر المبالغة، فقلَّ شكره لكثرة النعم عليه، وكثرة كفره^(٣) وإن قلَّ مع الإحسان إليه. حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا وَأَغْلَلْنَا وَسَعِيرًا ﴿١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا وَأَغْلَلْنَا وَسَعِيرًا﴾ بين حال الفريقين، وأنه تعبّد العقلاء وكلفهم ومكّنهم مما أمرهم، فمن كَفَرَ فله العقاب، ومن وَحَدَ وشكّر فله الثواب. والسلاسل: القيود في جهنم، طول كلِّ سلسلة سبعون ذراعًا، كما مضى في «الحاقة»^(٤).

وقرأ نافع والكسائي وأبو بكر عن عاصم وهشام عن ابن عامر: «سَلْسِلًا» منونًا. الباقون بغير تنوين. ووقف قُتْبُلٌ عن ابن كثير^(٥) وحمزة بغير ألف. الباقون بالألف. فأما «قوارير» الأوّل، فنوّنه نافع وابن كثير والكسائي وأبو بكر عن عاصم، ولم ينوّن الباقون. ووقف يعقوب وحمزة بغير ألف. والباقون بالألف. وأما «قَوَارِير» الثانية، فنوّنه أيضًا نافع والكسائي وأبو بكر، ولم ينوّن الباقون. فَمَنْ نَوّنَ قرأها بالألف، ومن

(١) معاني القرآن للفراء ٢١٤/٣.

(٢) ٢٢٦/١ - ٢٢٧، ٢٤٧، فما بعد.

(٣) في النكت والعيون ١٦٤/٦ (والكلام منه): وكثر كفره.

(٤) ص ٢١٠ من هذا الجزء.

(٥) في (د) و(م): وابن كثير. وهو خطأ.

لم يَنْوِنَ أسْقَطَ منها الألف^(١)، واختار أبو عبيد التنوينَ في الثلاثة، والوقف بالألف اتِّباعًا لخطِّ المصحف؛ قال: رأيت في مصحف عثمان «سَلَّاسِلًا» بالألف، و«قَوَارِيرًا» الأوَّل بالألف، وكان الثاني مكتوبًا بالألف، فَحُكِّتْ، فرأيت أثرها هناك بَيِّنًا.

فمن صَرَفَ فله أربع حُجج:

أحدها: أنَّ الجموع أشبهت الأحاد، فجمعت جمع الأحاد، فجعلت في حكم الأحاد، فصرفت.

الثانية: أنَّ الأخفش حكى عن العرب صَرَفَ جميع ما لا ينصرف، إلَّا: أَفْعَلَ منك، وكذا قال الكسائيُّ والفراء: هو على لغة من يُجْرِي الأسماءَ كُلَّها، إلَّا قولهم: هو أظرف منك، فإنهم لا يُجْرُونَه؛ وأنشد ابن الأنباري^(٢) في ذلك قولَ عمرو بن كُثُوم:

كَأَنَّ سَيُوفَنَا فِينَا وَفِيهِمْ مَخَارِيقُ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا^(٣)
وقال لبيد:

وَجَزُورٍ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَتْفِهَا بِمَغَالِقٍ مُتَشَابِهٍ أَجْسَامُهَا^(٤)

(١) الكلام بنحوه في الوقف والابتداء لابن الأنباري ٣٦٨/١، والمقنع للداني ص ١٥، وينظر النشر ٣٩٥/٢.

(٢) في الوقف والابتداء ٣٦٩/١، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٩٧/٥، والحجة لأبي علي ٣٤٩/٦، ومشكل إعراب القرآن ٧٨٣/٢، والكشف عن وجوه القراءات ٣٥٢/٢ ومعاني القرآن للفراء ٢١٤/٣، وللزجاج ٢٦٠/٥. قوله: لا يُجْرُونَه، أي: يمنعونه من الصرف، والإجراء يعني الصرف. ينظر تعليق الشيخ محمود شاكر رحمه الله على تفسير الطبري ٣٤٧/٦.

(٣) شرح القصائد المشهورات لابن النحاس ص ١٠٤. المخاريق: ما مُثِّلَ بالشيء وليس به، نحو ما يلعب به الصبيان، يشبهونه بالحديد وليس به.

(٤) شرح ديوان لبيد ص ٣١٨. الأيسار: المضاربون بالقداح. لحتفها: لنحرها. المغالق: القداح؛ لأنه يغلق بها الرهن. متشابه أجسامها: يشبه بعضها بعضاً؛ لأنها على نسق واحد.

وقال لييد أيضاً:

فَضْلاً وَذُو كَرَمٍ يُعِينُ عَلَى النَّدَى سَمَحٌ كَسُوبٌ رَغَائِبٍ غَنَائِمُهَا^(١)
فَصَرَفَ مَخَارِيقَ وَمَغَالِقَ وَرَغَائِبَ، وَسَيَّلَهَا أَلَّا تُصَرَفَ.

والحجة الثالثة: أن يقول: نونت «قوارير» الأول؛ لأنه رأس آية، ورؤوس الآي جاءت بالنون، كقوله جلّ وعزّ: «مَذْكُورًا» «سَمِيعًا بَصِيرًا» فنونًا الأول ليوافق^(٢) بين رؤوس الآي، ونونًا الثاني على الجوار للأول.

والحجة الرابعة: اتباع المصاحف، وذلك أنهما جميعاً في مصاحف مكة والمدينة والكوفة بالألف.

وقد احتجّ من لم يصرفهنّ بأن قال: إنّ كلّ جمع بعد الألف منه ثلاثة أحرف أو حرفان أو حرف مشدّد؛ لا يُصَرَفُ في معرفة ولا نكرة؛ فالذي بعد الألف منه ثلاثة أحرف قولك: قناديل، ودنانير، ومناديل، والذي بعد الألف منه حرفان قول الله عزّ وجلّ: ﴿مَلَدَّمَتِ صَوْمِعُ﴾ [الحج: ٤٠] لأنّ بعد الألف حرفين، وكذلك قوله: ﴿وَمَسْجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠] والذي بعد الألف منه حرف مشدّد: شَوَابٌ وَدَوَابٌ.

وقال خلف: سمعت يحيى بن آدم يحدث عن ابن إدريس قال: في المصاحف الأول الحرف الأول^(٣) والثاني بغير ألف؛ فهذا حجة لمذهب حمزة. وقال خلف: رأيت في مصحف ينسب إلى قراءة ابن مسعود الأول بالألف، والثاني بغير ألف.

وأما أفعل منك، فلا يقول أحد من العرب في شعره ولا في غيره: هو أفعل منك، منوناً؛ لأنّ «من» تقوم مقام الإضافة، فلا يُجمع بين تنوين وإضافة في حرف؛

(١) شرح ديوان لييد ص ٣٢٠. فضلاً: رغبة في الفضل. وذو كرم: أي: ومنا ذو كرم.

(٢) في (د): لتوقف، وفي (م): ليوقف، وفي (ي): ليوقف، والمثبت من (ز) و(ظ)، وهو الموافق لما في المطبوع من الوقف والابتداء لابن الأنباري ٣٦٩/١، والكلام منه.

(٣) بعدها في (د) و(م): بالألف، وهو خطأ.

لأنهما دليان من دلائل الأسماء، ولا يجمع بين دليلين؛ قاله الفرّاء وغيره^(١).
 قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمُ الْجَهَنَّمَ لِيُغْلَبُوا فِيهَا وَيَكُونَ آسِنُوكَ النَّارِ﴾ جمع غُلّ، تُغْلَبُ بها أيديهم إلى أعناقهم. وعن جُبَيْر بن نَفِير، عن أبي الدرداء كان يقول: إرفعوا هذه الأيدي إلى الله جلّ ثناؤه قبل أن تُغْلَبَ بالأغلال. قال الحسن: إنّ الأغلال لم تُجعل في أعناق أهل النار لأنهم أعجزوا الربّ سبحانه، ولكن إذا طغى [بهم اللهب، أرسبتهم في النار]^(٢). ﴿وَسَوِّبُوا﴾ تقدّم القول فيه^(٣).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٦﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾ الأبرار: أهل الصدق، واحدهم برّ، وهو من امتثل أمر الله تعالى. وقيل: البرّ: الموحد، والأبرار: جمع بارّ، مثل: شاهد وأشهاد، وقيل: هو جمع برّ، مثل: نهر وأنهار؛ وفي الصحاح^(٤): وجمع البرّ: الأبرار، وجمع البارّ: البرّرة، وفلان يبرّ خالقه ويتبرّره، أي يطيعه، والأم برّة بولدها.

وروى ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «إنما سمّاهم الله جلّ ثناؤه الأبرار؛ لأنهم برّوا الآباء والأبناء، كما أنّ لوالدك عليك حقًا، كذلك لولدك عليك حقًا»^(٥).

(١) نقله المصنف عن الوقف والابتداء ٣٧٠/١. والكلام بتمامه فيه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١٧٠/١٣، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤٤/٤، وما بين حاصرتين منهما. ووقع في (ظ) و(م): ... ولكن إذلالاً.

(٣) ١٧٩/١٣ - ١٨٠.

(٤) مادة (برر)، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٩٧/٥، وتفسير البغوي ٤٢٧/٤.

(٥) أخرجه ابن عدي في الكامل ٤/١٦٣٠ من طريق عبيد الله بن الوليد الوصّافي وقال: لا يتابع عليه. وأخرجه من هذا الطريق البخاري في الأدب المفرد (٩٤)، وابن أبي حاتم ٣/٨٤٦ (٤٦٨٠) موقوفاً. قال ابن كثير عند تفسير الآية (١٩٨) من سورة آل عمران: والموقوف أشبه، والله أعلم. وقال السيوطي في الدر المنثور ٢/١١٣: والموقوف أصح.

وقال الحسن: البَرّ: الذي لا يؤذي الذرَّ^(١). وقال قتادة: الأبرار: الذين يؤذون حقَّ الله ويوفون بالتَّنذر^(٢). وفي الحديث: «الأبرار الذين لا يؤذون أحداً»^(٣).

﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾ أي: من إناء فيه الشراب. قال ابن عباس: يريد الخمر. والكأس في اللغة: الإناء فيه الشراب، وإذا لم يكن فيه الشراب لم يُسمَّ كأساً^(٤). قال عمرو بن كلثوم:

صَبَنْتِ^(٥) الكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو وكان الكأسُ مَجْرَاهَا اليمينا
وقال الأصمعيّ: يقال: صَبَنْتَ عَنَّا الهديةَ أو ما كان من معروفٍ تَصْبِينُ صَبِينًا:
بمعنى كَفَفْتْ؛ قاله الجوهري.

﴿كَانَ مِرْأَجُهَا﴾ أي: شَوْبُهَا وَخِلْطُهَا؛ قال حسان:

كَأَنَّ سَبِيئَةَ مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يكون مِرْأَجُهَا عَسْلٌ وَمَاءٌ^(٦)
ومنه مزاج البدن، وهو ما يمازجه من الصفراء والسوداء، والحرارة والبرودة.

﴿كَافُورًا﴾ قال ابن عباس: هو اسم عينٍ في الجنة، يقال له: عين الكافور. أي: يمازجه ماء هذه العين التي تسمى كافورًا. وقال سعيد عن قتادة: تُمَزَجُ لهم بالكافور وتُخْتَمُ بالمسك. وقاله مجاهد. وقال عكرمة: مِرْأَجُهَا طَعْمُهَا^(٧). وقيل: إنما

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٨٤٦/٣ (٤٦٨١).

(٢) النكت والعيون ١٦٥/٦ .

(٣) لم تقف عليه.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢٥٨/٥ .

(٥) في (ظ): صدقت، وهو موافق لما في شرح القصائد المشهورات لابن النحاس ص ٩١ ، وشرح التبريزي ص ٢٥٦ . والمثبت من باقي النسخ، وهو موافق لما في شرح الزوزني ١١٩ ، والصحاح (صين).

(٦) الديوان ص ٨ ، والخزانة ٢٢٤/٩ . قال البغدادي: السبيئة: الخمر التي تُسبأ، أي: تشتري. وبيت رأس: موضع. وقيل: بيت: موضع الخمر، ورأس: اسم للخمار. وقيل: الرأس هنا بمعنى الرئيس، أي: من بيت رئيس. قال اللخمي: وهذا أحسن الأقوال.

(٧) تفسير البغوي ٤٢٧/٤ ، وقول قتادة أخرجه الطبري ٥٣٩/٢٣ .

الكافور في ريحها لا في طعمها^(١). وقيل: أراد الكافور في بياضه وطيب رائحته وبرّده؛ لأن الكافور لا يشرب؛ كقوله تعالى: ﴿حَقِّقْ إِذَا جَلَّ مَنَارًا﴾ [الكهف: ٩٦] أي: كنار. وقال ابن كيسان: طُيبُ بالمسك والكافور والزنجبيل^(٢). وقال مقاتل: ليس بكافور الدنيا. ولكن سَمَّى الله ما عنده بما عندكم حتى تهتدي لها القلوب^(٣). وقوله: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ «كان» زائدة، أي: من كأس مِزَاجُهَا كافورًا.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ قال الفراء^(٤): إنَّ الكافور اسم لعين ماء في الجنة؛ فـ«عَيْنًا» بدل من «كافور» على هذا. وقيل: بدل من «كأس» على الموضع. وقيل: هي حال من المضمَر في «مِزَاجُهَا». وقيل: نصب على المدح؛ كما يُذكر الرَّجُلُ فتقول: العاقل اللبيب، أي: ذكرتم العاقل اللبيب؛ فهو نصب بإضمار: أعني. وقيل: يشربون عَيْنًا^(٥). وقال الزجاج^(٦): المعنى: من عين.

ويقال: كافور وقافور. والكافور أيضًا: وعاء طلع النخل، وكذلك الكُفْرَى؛ قاله الأصمعي.

وأما قولُ الراعي:

تَكْسُو المَفَارِقَ واللَّبَّاتِ ذَا أَرَجٍ مِنْ قُصْبِ مُغْتَلِفِ الكَافُورِ دَرَّاجٍ
فَإِنَّ الظَّيْبِي الَّذِي يَكُونُ مِنْهُ المَسْكُ إِنَّمَا يَرعى سُنْبُلَ الطَّيْبِ، فَجَعَلَهُ كَافُورًا^(٧).

(١) إعراب القرآن للنحاس ٩٧/٥.

(٢) تفسير البغوي ٤٢٧/٤.

(٣) ذكر قوله مختصرًا الواحدي في الوسيط ٤/٤٠٠، وينظر تفسير أبي الليث ٣/٤٣٠.

(٤) في معاني القرآن ٣/٢١٥، وينظر المحرر الوجيز ٥/٤٠٩.

(٥) هذه الأقوال في معاني القرآن للأخفش ٢/٧٢٢، وإعراب القرآن للنحاس ٩٧/٥ - ٩٨، والكشاف ٤/١٩٦.

(٦) في معاني القرآن ٥/٢٥٨.

(٧) الصحاح (كفر)، وبيت الراعي في ديوانه ص ٣٢. اللَّبَّاتُ: جمع لَبَّةٍ وهو المنحر. القُصْبُ: المعنى. الأَرَجُ: الطَّيْبُ الرائحة. دَرَّاجٌ: يذهب ويجيء. قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء ١/٤١٧: أراد المسك، فجعله من قُصْبِ طيبي المسك.

﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ قال الفرّاء^(١): يشرب بها ويشربها سواءً في المعنى، وكأنَّ «يشرب بها» يَرَوَى بها وَيَنْقَع^(٢)؛ وأنشد:

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ متى لَجَجِ خُضْرٍ لَهُنَّ نَيْجُ^(٣)
قال: ومثله: فلان يتكلّم بكلام حسن، ويتكلّم كلامًا حسنًا. وقيل: المعنى: يشربها، والباء زائدة^(٤). وقيل: الباء بدل «من»، تقديره: يشرب منها؛ قاله القُتَيْبِيُّ^(٥).

﴿يَفْجَرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ فيقال: إنَّ الرجل منهم ليمشي في بيوتاته ويصعد إلى قصوره، وييده قضيبٌ يشير به إلى الماء، فيجري معه حيثما دار في منازلها على مستوى الأرض في غير أهدود، ويتبعه حيثما صعد إلى أعلى قصوره؛ وذلك قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي: يُشَقِّقُونَهَا شَقًّا، كما يفجر الرجل النهر هاهنا وهاهنا إلى حيث يريد.

وعن ابن أبي نجیح، عن مجاهد^(٦): «يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا»: يقودونها حيث شاؤوا، وتتبعهم؛ حيثما مالوا مالت معهم.

وروى أبو مقاتل عن صالح بن سعيد، عن أبي سهل، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع عيون في الجنة: عينان تجريان من تحت العرش، إحداهما التي ذكر الله: «يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا»، والأخرى [الزنجبيل]، والأخرى نَصَّاحَتَانِ من فوق العرش، إحداهما التي ذَكَرَ اللهُ: «سَلْسَبِيلًا»، والأخرى التَّسْنِيمُ». ذكره الترمذي

(١) في معاني القرآن ٣/٢١٥.

(٢) في مختار الصحاح: نقع بالماء: رَوَى، وشَرِبَ حتى نقع، أي: شفى غليله.

(٣) قائله أبو ذؤيب الهذلي، وهو في ديوان الهذليين ١/٥٢، والخزانة ٣/١٩٣ (دار صادر). قال البغدادي: متى لجاج، أي: من لجاج، أو في لجاج، أو وسط لجاج. ونسيج: مرّ سريع.

(٤) تفسير البغوي ٤/٤٢٨، والمححر الوجيز ٥/٤١٠.

(٥) في تأويل مشكل القرآن ص ٤٣٠.

(٦) أخرج قوله الطبري ٢٣/٥٤٠ بنحوه.

الحكيم في «نوادير الأصول»^(١)؛ وقال: فالتسليم للمقربين خاصة شرباً لهم، والكافور للأبرار شرباً لهم؛ يُمزج للأبرار من التسليم شرابهم، وأما الزنجبيل والسلسبيل فللأبرار منها مزاج. هكذا ذكره في التنزيل، وسكت عن ذكر ذلك لمن هي شرب، فما كان للأبرار مزاج، فهو للمقربين صرف، وما كان للأبرار صرف، فهو لسائر أهل الجنة مزاج. والأبرار هم الصادقون، والمقربون هم الصديقون.

قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَمَامًا عَلَيَّ حَبِيبًا وَسِكِينًا وَبَيْتًا ۝٨ وَإِنَّمَا تَطْعَمَكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا تَرْبُدُوا مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۝٩﴾

قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ أي: لا يُخلفون إذا نذروا. وقال معمر عن قتادة: بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغيره من الواجبات^(٢). وقال مجاهد وعكرمة: يوفون إذا نذروا في حق الله جل ثناؤه^(٣). وقال الفراء^(٤) والجرجاني: وفي الكلام إضمار، أي: كانوا يوفون بالنذر في الدنيا. والعرب قد تزيد مرة «كان» وتحذف أخرى.

والنذر: حقيقته ما أوجبه المكلف على نفسه من شيء يفعلُه. وإن شئت قلت في حدّه: النذر: هو إيجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه. وقال الكلبي: «يُوفُونَ بِالنَّذْرِ» أي: يتّهمون العهود^(٥). والمعنى واحد؛ وقد قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلَيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩] أي: أعمال نسكهم التي ألزموها أنفسهم بإحرامهم بالحج. وهذا يقوي قول قتادة، وأنّ النذر يندرج فيه ما

(١) لم نقف عليه في المطبوع منه، وقد ذكره المصنف في التذكرة ص ٥٠٧ ونسبه أيضاً للحكيم الترمذي في نوادر الأصول في الأصل التاسع والثمانين، ونقل كلامه الآتي. وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٠١/٦ وعزه لنوادير الأصول أيضاً، وما بين حاضرتين منه.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/٥٤١ - ٥٤٢، وذكره البغوي ٤/٤٢٨.

(٣) تفسير البغوي ٤/٤٢٨.

(٤) في معاني القرآن ٣/٢١٦.

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون ١٦٦/٦ بنحوه.

التزمه المرء بإيمانه من امتثال أمر الله؛ قاله القشيري.

وروى أشهب عن مالك أنه قال: «يوقون بالنذر»: هو نذر العتق والصيام والصلاة. وروى عنه أبو بكر بن عبد العزيز قال: قال مالك: «يوقون بالنذر» قال: النذر هو اليمين^(١).

قوله تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ﴾ أي: يحذرون ﴿يَوْمًا﴾ أي: يوم القيامة. ﴿كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ أي: عاليًا داهيًا فاشيًا، وهو في اللغة: ممتدًا، والعرب تقول: استطار الصدع في القارورة والزُّجاجة واستطال: إذا امتدَّ^(٢)؛ قال الأعشى:
وبانت وقد أسارت^(٣) في الفؤا د صدعًا على نأيها مستطيرا
ويقال: استطار الحريق: إذا انتشر. واستطار الفجر: إذا انتشر الضوء^(٤).
وقال حسان:

وهان على سرة بني لؤي حريق بالبؤيرة مستطير^(٥)
وكان قتادة يقول: استطار والله شرُّ ذلك اليوم حتى ملأ السماوات والأرض^(٦).
وقال مقاتل: كان شرُّه فاشيًا في السماوات فانشقت، وتناثرت الكواكب، وفزعت الملائكة، وفي الأرض نسفت الجبال وغارت المياه^(٧).

قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْبٍ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: على قلته وحبهم

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٨٥.

(٢) الكلام في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢١٦ بنحوه.

(٣) في (د) وتفسير الطبري ٢٣/ ٥٤٣: أثارت، وفي الديوان ص ١٤٣: أورثت، والمثبت من (ظ) و(م) وهو موافق لما في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٠، وأسارت، أي: أبتت.

(٤) تفسير غريب القرآن ص ٥٠٢، وينظر الصحاح (طير).

(٥) الديوان ص ١١٠. وسلف ٢٠/ ٣٤١.

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٤٢.

(٧) الوسيط للواحدي ٤/ ٤٠٠، وتفسير البغوي ٤/ ٤٢٨.

إِيَّاهُ وشهوتهم له. وقال الداراني: على حبِّ الله^(١). وقال الفُضَيْل بن عِيَّاض: على حبِّ إطعام الطعام. وكان الربيع بن خُثَيْم إذا جاءه السائل قال: أطعموه سُكَّرًا، فَإِنَّ الربيع يحبُّ السُّكَّرَ^(٢).

﴿مِسْكِينًا﴾ أي: ذا مسكنة. وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: هو الطَوَّاف يسألك مالك.

﴿وَيَتِيمًا﴾ أي: من يتامى المسلمين. وروى منصور عن الحسن: أَنْ يَتِيمًا كان يحضر طعامَ ابن عمر، فدعا ذات يوم بطعامه، وطلب اليتيم فلم يجده، وجاءه بعد ما فرغ ابن عمر من طعامه، فلم يجد الطعام، فدعا له بسويق وعسل؛ فقال: دونك هذا، فوالله ما عُيِّنْتَ؛ قال الحسن وابن عمر: والله ما عُيِّنَ.

﴿وَأَسِيرًا﴾ أي: الذي يؤسر فيحبس. فروى أبو صالح عن ابن عباس قال: الأسير من أهل الشُّرْكِ يكون في أيديهم. وقاله قتادة. وروى ابن أبي نَجِيح عن مجاهد قال: الأسيرُ هو المحبوس^(٣). وكذا قال سعيد بن جُبَيْر وعطاء: هو المسلم يُحبس بحق^(٤). وعن سعيد بن جبيرة مثل قول قتادة وابن عباس. قال قتادة: لقد أمر الله بالأسرى أن يُحَسِّنَ إليهم، وإنَّ أسراهم يومئذ لأهل الشُّرْكِ، وأخوك المسلم أحقُّ أن تطعمه^(٥). وقال عكرمة: الأسير العبد^(٦). وقال أبو حمزة الثُمَالِي: الأسير المرأة، يدلُّ عليه قوله عليه الصلاة والسلام: «استوصوا بالنساء خيرًا، فإنهنَّ عَوَانٌ عندكم»^(٧) أي: أسيرات.

(١) المحرر الوجيز ٥/٤١٠، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٣/٥٤٣.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/٤٠١ - ٤٠٢، وأبو نعيم في الحلية ٢/١١٥.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/٥٤٤ - ٥٤٥.

(٤) تفسير البغوي ٤/٤٢٨ بنحوه.

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/٥٤٤.

(٦) النكت والعيون ٦/١٦٦.

(٧) المحرر الوجيز ٥/٤١١، والحديث أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجه (١٨٥١) من حديث عمرو بن الأحوص رضي الله عنه. وقوله منه: «استوصوا بالنساء خيرًا» أخرجه البخاري (٥١٨٦)، ومسلم (١٤٦٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وسلف ٣/٩٤.

وقال أبو سعيد الخُدري: قرأ رسول الله ﷺ: «وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا» فقال: «المسكين: الفقير، واليتيم: الذي لا أب له، والأسير: المملوك والمسجون» ذكره الثعلبي.

وقيل: نَسَخَ إطعامَ المسكين آيةَ الصَّدقات؛ وإطعامَ الأسير السيف؛ قاله سعيد بن جبير^(١). وقال غيره: بل هو ثابتُ الحكم، وإطعام اليتيم والمسكين على التطوع، وإطعام الأسير لحفظ نفسه، إلا أن يتخير فيه الإمام.

الماوردي^(٢): ويحتمل أن يريد بالأسير الناقص العقل؛ لأنه في أسر حَبْله وجنونه، وأسرُ المشرك انتقام يقف على رأي الإمام؛ وهذا برٌّ وإحسان. وعن عطاء قال: الأسير من أهل القبلة وغيرهم^(٣).

قلت: وكأنَّ هذا القولَ عامٌّ يجمع جميع الأقوال، ويكون إطعام الأسير المشرك قربةً إلى الله تعالى، غير أنه من صدقة التطوع، فأما المفروضة فلا. والله أعلم. ومضى القولُ في المسكين واليتيم والأسير واشتقاق ذلك من اللغة في «البقرة» مستوفى، والحمد لله^(٤).

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ أي: يقولون بألسنتهم للمسكين واليتيم والأسير: «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ» في الله جلَّ ثناؤه فزَعًا من عذابه وطمعًا في ثوابه ﴿لَا تَرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً﴾ أي: مكافأة ﴿وَلَا شُكْرًا﴾ أي: ولا أن تُثَنُّوا علينا بذلك؛ قال ابن عباس: كذلك كانت نياتهم في الدنيا حين أطعموا. وعن سالم، عن مجاهد قال: أما إنهم ما تكلموا به، ولكن علمه الله جلَّ ثناؤه منهم، فأثنى به عليهم؛ ليرغب في ذلك راغب. وقاله سعيد بن جبير^(٥)، حكاه عنه القشيري.

(١) النكت والعيون ١٦٦/٦، وينظر المحرر الوجيز ٤١٠/٥.

(٢) في النكت والعيون ١٦٧/٦.

(٣) أخرجه الطبري ٥٤٥/٢٣.

(٤) ٢٢٩/٢، ٢٣٢، ٢٣٩.

(٥) أخرج قولهما الطبري ٥٤٦/٢٣.

وقيل: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي مُطْعِمِ بْنِ وُرْقَاءِ الْأَنْصَارِيِّ؛ نَذَرَ نَذْرًا فَوْقَى بِهِ (١).

وقيل: نَزَلَتْ فِي مَنْ تَكْفَلُ بِأَسْرَى بَدْرٍ، وَهِيَ سَبْعَةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعَلِيٌّ، وَالزُّبَيْرُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدٌ (٢)، وَأَبُو عُبَيْدَةَ رضي الله عنه؛ ذَكَرَهُ الْمَاورِدِيُّ.

وَقَالَ مِقَاتِلٌ: نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ؛ أَطْعَمَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَسْكِينًا وَبَيْتِيًّا وَأَسِيرًا (٣).

وَقَالَ أَبُو حَمِزَةَ الثُّمَالِيُّ: بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَطْعَمَنِي فَإِنِّي وَاللَّهِ مَجْهُودٌ؛ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا عِنْدِي مَا أَطْعَمُكَ، وَلَكِنْ اطْلُبْ». فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَتَعَشَّى مَعَ امْرَأَتِهِ، فَسَأَلَهُ، وَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: أَطْعَمَهُ وَاسْقِهِ. ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَتِيمٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَطْعَمَنِي فَإِنِّي مَجْهُودٌ. فَقَالَ: «مَا عِنْدِي مَا أَطْعَمُكَ، وَلَكِنْ اطْلُبْ» فَاسْتَطْعَمَ ذَلِكَ الْأَنْصَارِيَّ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: أَطْعَمَهُ وَاسْقِهِ، فَأَطْعَمَهُ. ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ أُسِيرٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَطْعَمَنِي فَإِنِّي مَجْهُودٌ. فَقَالَ: «وَاللَّهِ مَا مَعِيَ مَا أَطْعَمُكَ، وَلَكِنْ اطْلُبْ» فَجَاءَ الْأَنْصَارِيَّ فَطَلَبَ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: أَطْعَمَهُ وَاسْقِهِ. فَنَزَلَتْ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ذَكَرَهُ الثَّعَلْبِيُّ. وَقَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ: نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَجَارِيَةَ لِهَما اسْمُهَا فَضَّةٌ.

قُلْتُ: وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي جَمِيعِ الْأَبْرَارِ، وَمَنْ فَعَلَ فَعَلًا حَسَنًا؛ فَهِيَ عَامَّةٌ. وَقَدْ ذَكَرَ الثَّقَافِيُّ وَالثَّعَلْبِيُّ وَالْقَشِيرِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ فِي قِصَّةِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَجَارِيَتَهُمَا حَدِيثًا لَا يَصِحُّ وَلَا يَثْبُتُ، رَوَاهُ لَيْثٌ عَنْ مَجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ

(١) نسبه الماوردي في النكت والعيون ١٦٨/٦ لجابر.

(٢) في النكت والعيون ١٦٧/٦: وسعيد، وهي غير واضحة في (ي).

(٣) تفسير البخوي ٤/٤٢٨، وأورده أيضاً ابن الجوزي في زاد المسير ٨/٤٣٢، وذكر أن الأنصاري هو أبو الدحداح.

عزَّ وجلَّ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا . وَيُطِيعُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ قال: مرض الحسن والحسين فعادهما رسول الله ﷺ، وعادهما عمومة العرب؛ فقالوا: يا أبا الحسن - ورواه جابر الجعفي عن قنبر مولى عليّ قال: مرض الحسن والحسين حتى عادهما أصحاب رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر ﷺ: يا أبا الحسن. رجع الحديث إلى حديث ليث بن أبي سليم - لو نذرت عن ولدك نذراً^(١)، وكلُّ نذر ليس له وفاء فليس بشيء. فقال ﷺ: إن برأ ولدي^(٢)، صمت لله ثلاثة أيام شكراً. وقالت جارية لهم نويبة: إن برأ سيّداي، صمت لله ثلاثة أيام شكراً. وقالت فاطمة مثل ذلك. وفي حديث الجعفي: فقال الحسن والحسين: علينا مثل ذلك. فأليس الغلامان العافية، وليس عند آل محمد قليل ولا كثير، فانطلق عليّ إلى شمعون بن حاريا^(٣) الخبيري، وكان يهودياً، فاستقرض منه ثلاثة أضوع^(٤) من شعير، فجاء به، فوضعه ناحية البيت، فقامت فاطمة إلى صاع فطحته واختبزته، وصلى عليّ مع النبي ﷺ، ثم أتى المنزل، فوضع الطعام بين يديه. وفي حديث الجعفي: فقامت الجارية إلى صاع من شعير فخبزت منه خمسة أقراص، لكل واحدٍ منهم قرص، فلما مضى صيامهم الأوّل، وضع بين أيديهم الخبز والملح الجريش؛ إذ أتاهم مسكين، فوقف بالباب وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد. في حديث الجعفي: أنا مسكين من مساكين أمة محمد ﷺ، وأنا والله جائع؛ أطعموني أطعمكم الله على موائد الجنة. فسمعه عليّ ﷺ، فأنشأ يقول:

فاطمَ^(٥) ذات الفضل^(٦) واليقين يا بنت خير الناس أجمعين

(١) في (م): ولديك شيئاً، وفي نوادر الأصول ص ٦٤: ولديك نذراً.

(٢) في (م): ولداي.

(٣) في (د): جبار، وفي (ظ): جابر، وفي (ز) و(ي): جار. والمثبت من (م).

(٤) في النسخ الخطية: أصع.

(٥) في (د) و(ز) و(ي): أفاطم، وفي (ظ): أفاطمة.

(٦) في النسخ الخطية: السداد.

أما تَرَيْنَ البائِسَ المسكين
يشكو إلى الله ويستكين
كلُّ امرئٍ بكسبه رهين
موعِدُنَا جنةٌ علَّيين
وللبخيل موقفٌ مهين
شرا به الحميم والغسلين
قد قام بالباب له حنين
يشكو إلينا^(١) جائعٌ حزين
وفاعلُ الخيرات يستبين^(٢)
حرّمها الله على الضّنين
تَهوي به النار إلى سجّين
من يفعل الخيرَ يقم سمين
ويدخل الجنة أيّ حين

فأنشأت فاطمة رضي الله عنها تقول:

أمرُك عندي يا ابنَ عمِّ طاعة
عَدَلْتُ^(٣) في الخبز له صناعة
أرجو إذا أشبعتُ ذا المجاعة
وأدخل الجنة لي شفاعه
ما بي من لؤم ولا وِضاعة
أطعمه ولا أبالي السّاعة
أن الحقّ الأخيارَ والجماعة

فأطعموه الطعام، ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح، فلما أن كان في اليوم الثاني، قامت إلى صاع فطحته واختبزته، وصلى عليّ مع النبي ﷺ، ثم أتى المنزل، فوضع الطعام بين أيديهم؛ فوقف بالباب يتيم فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، يتيم من أولاد المهاجرين، استشهد والذي يوم العقبة. أطعموني أطعمكم الله على موائد الجنة. فسمعه عليّ فأنشأ يقول:

فاطمَ بنتَ السَّيدِ الكريمِ
بنتَ نبيِّ ليس بالزَّنينم^(٤)

(١) في (د) و(ي): إليها، وفي (ز) و(ظ): إلى الله.

(٢) في النسخ الخطية: وفاعل الخير سيستبين.

(٣) في (د) و(ز) و(ي): عديت، وفي (م): غديت.

(٤) الزنيم: المستلحق في قوم ليس منهم، والدّعي، واللّيم المعروف بلؤمه أو شره. القاموس (زنم).

لقد أتى الله بذي اليتيم من يرحم اليوم يكن رحيم
 ويدخل الجنة أي سليم قد حرم الجنة للئيم^(١)
 ألا يجوز الصراط المستقيم يزل في النار إلى الجحيم
 شرابه الصديد والحميم

فأنشأت فاطمة رضي الله عنها تقول:

أطعمه اليوم ولا أبالي وأوثر الله على عيالي
 أمسوا جوعاً وهم أشبالي أصغرهم يقتل في القتال
 بكرِّبلاً يقتل باغتيال يا ويل للقاتل مع وبال
 تهوي به النار إلى سفال وفي يديه الغل والأغلال
 كُبولةٌ زادت على الأكيال

فأطعموه الطعام، ومكثوا يومين وليتين لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح^(٢)؛ فلما كانت في اليوم الثالث، قامت إلى الصاع الباقي فطحنته واختبزته، وصلى عليّ مع النبي ﷺ، ثم أتى المنزل، فوضع الطعام بين أيديهم؛ إذ أتاهم أسيرٌ، فوقف بالباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، تأسروننا وتشدُّوننا ولا تُطعموننا! أطعموني فإني أسيرٌ محمد. فسمعه عليّ فأنشأ يقول:

فاطم^(٣) يا بنت النبي أحمد بنت نبي سيّد مُسوّد
 سمّاه^(٤) الله فهو محمد قد زانه الله بحُسنٍ أغيد
 هذا أسيرٌ للنبي المهتد مُثقلٌ في غلّه مُقيّد

(١) في (م): قد حرم الخلد على اللئيم. وليس بشيء.

(٢) أي: الذي لا يشوبه شيء. الصحاح (قرح).

(٣) في (د) و(ز) و(ي): أفاطم.

(٤) في (م): وسماه.

يشكو إلينا الجوعَ قد تمَدَّدَ من يُطعمِ اليومَ يجده في غد
عند العليِّ الواحدِ الموحدِ ما يزرع الزارعُ سوف يحصد
أعطيه لا لا تجعله أقعد

فأنشأت فاطمة رضي الله تعالى عنها تقول:

لم يَبْقَ مِمَّا جاءَ غيرُ صاعٍ قد ذهبَت كَفِّي مع الذُّراعِ
ابنِنايَ واللّه هُما جِيع يا ربِّ لا تتركهما ضِيع
أبوهما للخير ذو اصطناع^(١) يصطنع المعروفَ بابتداع
عَبْلُ^(٢) الذُّراعين شديداً الباع وما على رأسي مِن قِناع
إِلَّا قِناعاً نَسَجُه أنساع^(٣)

فأعطوه الطعام، ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح، فلما أن كان في اليوم الرابع، وقد قضى الله النذر، أخذ عليّ بيده اليمنى الحسن، ويده اليسرى الحسين، وأقبل نحو رسول الله ﷺ وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع؛ فلما أبصرهم رسول الله ﷺ قال: «يا أبا الحسن! ما أشد ما يسوؤني ما أرى بكم، انطلق بنا إلى ابنتي فاطمة». فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد لصقَ بطنها بظهرها، وغارت عيناها من شدة الجوع، فلما أن رآها رسول الله ﷺ وعرف المجاعة في وجهها، بكى وقال: «واغوثاه يا الله، أهل بيت محمد يموتون جوعاً». فهبط جبريل عليه السلام وقال: السلام عليك، ربك يقرئك السلام يا محمد، خذ هنيئاً في أهل بيتك. قال: «وما آخذ يا جبريل؟» فأقرأه: ﴿هَلْ أَقَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ إلى

(١) في (د) و(ز) و(ظ): هو صناع، والبيت ساقط من (ي).

(٢) أي: ضخمهما. الصحاح (عبل).

(٣) في (د): بساع، وفي (ظ): سباع، وفي (ز) و(ي): نساع، والمثبت من (م)، والأنساع: جمع نسع:

سَيْرٍ ينسج عريضاً على هيئة أعة النعال، تشد به الرحال. القاموس (نسع).

قوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُدُودٍ مَسْكِينًا وَبَيْنًا وَأَسِيرًا . إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لِرِجَالِ اللَّهِ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾.

قال الترمذي الحكيم أبو عبد الله في «نوادير الأصول»^(١): فهذا حديثٌ مُزَوَّقٌ مُزَيَّفٌ، قد تَطَرَّفَ فيه صاحبه حتى تشبَّه على المستمعين، فالجاهل بهذا الحديث يَعْضُّ شفتيه تلهُفًا ألا يكون بهذه الصفة، ولا يعلمُ أنَّ صاحب هذا الفعل مذموم؛ وقد قال الله تعالى في تنزيله: ﴿وَسَأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، وهو الفضل الذي يُفْضَلُ عن نفسك وعيالك، وجرت الأخبار عن رسول الله ﷺ متواترة بأنَّ «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى»^(٢) «وابدأ بنفسك ثم بمن تعول»^(٣) وافترض الله على الأزواج نفقة أهاليهم وأولادهم. وقال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يضيِّعَ مَنْ يَقْتُو»^(٤)، أفيحسب عاقلٌ أنَّ عليًّا جهل هذا الأمر، حتى أجهد صبيانا صغارا من أبناء خمسٍ أو ستٍّ على جوع ثلاثة أيام ولياليهنَّ، حتى تَضَوَّرُوا من الجوع، وغارت العيون منهم؛ لخلاء أجوافهم، حتى أبكى رسول الله ﷺ ما بهم من الجهد. هَبْ أنه أثر على نفسه هذا السائل، فهل كان يجوز له أن يَحْمِلَ أهله على ذلك؟! وهَبْ أن أهله سمحت بذلك لعلِّي، فهل جاز له أن يحمل على أطفاله جوع ثلاثة أيام لبياليهنَّ؟! ما يروج مثلُ هذا إلا على حَمَقِي جَهَّالٍ؛ أباي الله لقلوب متنبهة أن تظنَّ بعليٍّ مثلَ هذا. وليت شعري! مَنْ حفظ هذه الآيات كلَّ ليلة عن عليٍّ

(١) ص ٦٥ .

(٢) قطعة من حديث أبي هريرة ؓ أخرجه أحمد (٧٧٤١)، والبخاري (١٤٢٦). وسلف ٤٤٧/٣ .

(٣) قال ابن حجر في التلخيص الحبير ١٨٤/٢ : لم أره هكذا، بل في الصحيحين من حديث أبي هريرة: «... وابدأ بمن تعول» ولمسلم عن جابر في قصة المدبر في بعض الطرق: «ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلاهلك». اهـ.

وحديث أبي هريرة أخرجه أحمد (٧١٥٥)، والبخاري (١٤٢٦)، ومسلم (١٠٤٢)، وسلف ٤٠/٦ .
وحديث جابر أخرجه أحمد (١٤٩٧٠)، ومسلم (٩٩٧).

(٤) أخرجه أحمد (٦٤٩٥)، وأبو داود (١٦٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وسلف

وفاطمة، وإجابة كل واحدٍ منهما صاحبه، حتى أذاه إلى هؤلاء الرؤاة؟! فهذا وأشباهه من أحاديث أهل السُّجون فيما أرى. بلغني أن قوماً يُخلِّدون في السجون فيبقون بلا حيلة، فيكتبون أحاديث في السمر وأشباهه، ومثل هذه الأحاديث مفتعلة، فإذا صارت إلى الجهابذة رموا بها وزيفوها، وما من شيء إلا وله آفة ومكيدة، وآفة الدين وكَيْده أكثر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾ ﴿١﴾ فَوَقَّهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهُمْ نَصْرًا وَسُرُورًا ﴿٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾ «عَبُوسًا» من صفة اليوم، أي: يومًا تَعْبَسُ فيه الوجوه من هولهِ وشِدَّتِهِ، فالمعنى: نخاف يومًا ذا عُبوس. وقال ابن عباس: يَعْبِسُ الكافر يومئذ حتى يسيل منه عرق كالقَطْران. وعن ابن عباس: العَبُوس: الضَّيِّق، والقَمَطِير: الطويل^(١)؛ قال الشاعر:

شديدًا عبوسًا قَمَطِيرًا^(٢)

وقيل: القَمَطِير: الشديد؛ تقول العرب: يوم قَمَطِير وقَمَاطِر وعَصِيب بمعنى؛ وأنشد الفراء^(٣):

بني عَمْنَا هل تَدُكْرُون بلاءنا عليكم إذا ما كان يوم قَمَاطِرُ
بضم القاف. واقمطر: إذا اشتد.

وقال الأخفش: القَمَطِير: أشدُّ ما يكون من الأيام وأطولهُ في البلاء^(٤)؛ قال

الشاعر:

(١) أخرجهما الطبري ٢٣/٥٤٧، ٥٤٩.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/١٦٧ دون نسبة. وتماه:

شديدًا عبوسًا قَمَطِيرًا تخاله نزول الضحى فيه قرون المناكب

(٣) في معاني القرآن ٣/٢١٦، وهو في تفسير الطبري ٢٣/٥٤٧، والصحاح (قمطر).

(٤) تفسير البغوي ٤/٤٢٩، وقاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/٢٧٩.

فَفِرُّوا إِذَا مَا الْحَرْبُ ثَارَ غِبَارَهَا وَلَجَّ بِهَا الْيَوْمُ الْعَبُوسُ الْقَمَاطِرُ^(١)
وقال الكسائي: يقال: اقمطرَّ اليومُ وازمهرَّ اقمطارًا وازمهرارًا، وهو القمطير
والزَّمهير، ويوم مُقْمَطِرٌ: إذا كان صعبًا شديدًا؛ قال الهذلي:

بنو الحربِ أَرْضِعْنَا لَهُمْ مُقْمَطِرَةً وَمَنْ يُلْقَ مِنَّا ذَلِكَ الْيَوْمَ يَهْرُبُ^(٢)
وقال مجاهد: إنَّ العُوسَ بالشفنتين، والقَمَطِيرَ بالجبهة والحاجبين؛ فجعلها من
صفات الوجه المتغيَّر من شدائد ذلك اليوم؛ وأنشد ابن الأعرابي:

يَعْدُو عَلَى الصَّيْدِ يَعُودُ مُنْكَسِرٌ وَيَقْمَطِرُ سَاعَةً وَيَكْفَهِرُ^(٣)
وقال أبو عبيد^(٤): يقال: رجل قَمَطِير، أي: منقبض^(٥) ما بين العينين.

وقال الزجاج^(٦): يقال: اقمطرت الناقة: إذا رفعت ذنبها وجمعت قُطْرِيهَا،
ورزمت بأنفها. فاشتقَّه من القُطر، وجعل الميم مزيدة. قال أسد بن ناعصة^(٧):

واصطليتُ الحروبَ في كلِّ يومٍ باسلِ الشَّرِّ قَمَطِيرِ الصَّبَاحِ
قوله تعالى: ﴿فَوَقَّهُمْ اللَّهُ﴾ أي: دفع عنهم ﴿شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ أي: بأسه وشدته
وعذابه ﴿وَلَقَّوهُمْ﴾ أي: آتاهم وأعطاهم حين لقَّوه، أي: رأوه ﴿نَقْرَةً﴾ أي: حسناً
﴿وَسُرُودًا﴾ أي: حُبُورًا.

(١) المحرر الوجيز ٤١١/٥ .

(٢) البيت لحذيفة بن أنس الهذلي، وهو في ديوان الهذليين ٢٥/٣ ، وروايته: فَمَنْ يُلْقَ مِنَّا يُلْقَ سَيْدٌ
مدربٌ. قال شارحه: الْمُقْمَطِرَةُ: الكالحة الشنيعة، يقول: أرضعنا بها وقد تهيأت للشر. السَّيْدُ في كلام
هذيل: الأسد.

(٣) النكت والعيون ١٦٧/٦ .

(٤) في (د) و(ظ) و(م): أبو عبيدة، والمثبت من (ز) و(ي)، وهو الموافق لما في تهذيب اللغة ٤٠٨/٩ .

(٥) في (م): متقبض، وفي (ي): مقتبض، وفي تهذيب اللغة: مقبض.

(٦) في معاني القرآن ٢٥٩/٥ ، ونقل كلامه الزمخشري في الكشاف ١٩٧/٤ .

(٧) التنوخي. شاعر جاهلي قديم. له في أشعاره ألفاظ غريبة وحشية. وكان هو وأهل بيته نصارى. المؤلف
والمختلف للأمدى ص ٢٩٩ . والبيت في الكشاف.

قال الحسن ومجاهد: «نَضْرَةٌ» في وجوههم «وَسُرُورًا» في قلوبهم.
وفي النضرة ثلاثة أوجه: أحدها: أنها البياض والتقاء؛ قاله الضحاك. الثاني:
الحُسن والبهاء؛ قاله ابن جبير. الثالث: أنها أثر النعمة؛ قاله ابن زيد^(١).

قوله تعالى: ﴿وَجَزَّئَتْهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٣ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٤ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ أَطْوْفُهَا نَذِيلًا ۝١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَزَّئَتْهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾ على الفقر^(٢). وقال القرظي: على الصوم. وقال
عطاء: على الجوع^(٣) ثلاثة أيام، وهي أيام النذر. وقيل: بصبرهم على طاعة الله^(٤)،
وصبرهم عن معصية الله ومحارمه^(٥). و«ما»: مصدرية، وهذا على أن الآية نزلت في
جميع الأبرار ومن فعل فعلاً حسناً.

وروى ابن عمر أن رسول الله ﷺ سئل عن الصبر فقال: «الصبر أربعة: أولها
الصبر عند الصدمة الأولى، والصبر على أداء الفرائض، والصبر على اجتناب محارم
الله، والصبر على المصائب»^(٦).

﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ أي: أدخلهم الجنة وألبسهم الحرير. أي: يسمّى بحرير الدنيا^(٧).
وكذلك الذي في الآخرة ما شاء الله عزَّ وجلَّ من الفضل. وقد تقدّم^(٨) أن من لبس
الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، وإنما ألبسه من ألبسه في الجنة عوضاً عن

(١) النكت والعيون ٦/١٦٨ - ١٦٨ ، وقول الحسن أخرجه الطبري ٢٣/٥٥٠ .

(٢) ذكره البغوي في تفسيره ٤/٤٢٩ عن الضحاك.

(٣) تفسير البغوي ٤/٤٢٩ .

(٤) النكت والعيون ٦/١٦٨ .

(٥) ذكره النحاس في إعراب القرآن ٥/١٠٠ عن قتادة.

(٦) لم نقف عليه، وقوله منه: «الصبر عند الصدمة الأولى» أحمد (١٢٤٥٨)، والبخاري (١٢٨٣)، ومسلم

(٩٢٦) من حديث أنس ؓ. وسلف ٢/٤٦٣ .

(٧) في (ظ): أي بدل حرير الدنيا.

(٨) ٣٤٧/١٤ .

حبسهم أنفسهم في الدنيا عن الملابس التي حرّم الله فيها.

قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا﴾ أي: في الجنة؛ ونصب «مُتَّكِنِينَ» على الحال من الهاء والميم في «جَزَاهُمْ»، والعامل فيها «جزى» ولا يعمل فيها «صَبَرُوا»؛ لأن الصبر إنما كان في الدنيا، والاتكاء في الآخرة^(١). وقال الفراء^(٢): وإن شئت جعلت «مُتَّكِنِينَ» تابعا، كأنه قال: جزاهم جنة «مُتَّكِنِينَ» فيها.

﴿عَلَى الْأَرْيَاقِ﴾: السُّرُرُ فِي الْحِجَالِ^(٣)، وقد تقدّم^(٤). وجاءت عن العرب أسماء تحتوي على صفات: أحدها الأريكة، لا تكون إلا في حَجَلَة على سرير، ومنها السَّجَل، وهو الدُّلُو الممتلئ ماء، فإذا صَفِرَتْ لم تُسَمَّ سَجَلًا، وكذلك الدُّنُوب لا تُسَمَّى دُنُوبًا حتى تُمَلَأَ، والكأس لا تسمى كأسًا حتى تُتْرَع من الخمر. وكذلك الطَّبَق الذي تُهْدَى عليه الهدية: مِهْدَى، فإذا كان فارغًا قيل: طَبَقٌ أَوْ خِوَانٌ؛ قال ذو الرِّمَّة: خُدُودًا جَفَّتْ فِي السَّيْرِ حَتَّى كَأَنَّمَا يُبَاشِرُنَ بِالْمَعْزَاءِ مَسَّ الْأَرَائِكِ^(٥) أي: الفرش على السرر.

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾ أي: لا يرون في الجنة شدة حرّ كحرّ الشمس ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾

(١) الكلام بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ١٠٠/٥.

(٢) في معاني القرآن ٢١٦/٣.

(٣) تفسير البغوي ٤٢٩/٤. والحِجَال جمع: حَجَلَة، وهي بيت يزين بالثياب والأسرة والستور. الصحاح (حجل).

(٤) ٢٦٨/١٣.

(٥) في النسخ: خُدُودٌ جَفَّتْ...، والمثبت من ديوان ذي الرمة، وشرحه ١٧٢٩/٣، وقبله:

إذا وَقَعُوا وَهَنًا كَسُوا حَيْثُ مَوَّتَتْ
من الجهد أنفاس الرياح الحواشك
قال شارحه: وهناً: بعد هُدُوءٍ من الليل. الحشك: أن تمر الرياح مختلفة مندفة مجتهدة. جفت في السير، أي: لم تطمئن. وقوله: كأنما يباشرون، يعني الخدود. المعزاة: أرض غليظة ذات حصى. يقول: كأنهن إذا وَقَعْنَ عَلَى الْمَعْزَاءِ وَجَدْنَ بِهَا مَسَّ الْأَرَائِكِ مِنَ التَّعَبِ. أي: أَلْقُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي مَاتَ الرِّيحُ فِيهِ، أي: سَكَنْتَ مِنَ الْجَهْدِ. أي: أَلْقُوا أَنْفُسَهُمْ فَكَانُوا كَسُوا لِلْمَكَانِ. وأراد: كَسُوا خُدُودَهُمْ، أي: صَيَّرُوا الْمَكَانَ [الَّذِي] نَامُوا فِيهِ كَسُوا لِلْخُدُودِ.

أي: ولا بردًا مُفْرِطًا؛ قال الأعشى:

مُنْعَمَةٌ طِفْلَةٌ كَأَلْمَهَا ة لم تَر شمسًا ولا زَمهريرًا^(١)

وعن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتكت النارُ إلى ربِّها عَزًّا وجلًّا، قالت: يا رب! أَكَلْ بعضي بعضًا، فجَعَلَ لها نَفْسَيْنِ: نَفْسًا في الشتاء، ونَفْسًا في الصَّيفِ، فشَدَّةُ ما تجدون من البرد من زمهريرها، وشَدَّةُ ما تجدون من الحرِّ في الصيف من سُمومها»^(٢).

وعن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ هواءَ الجنةِ سَجَسَجٌ؛ لا حرًّا ولا بردًا»^(٣) والسَّجَسَجُ: الظِّلُّ الممتدُّ كما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس.

وقال مُرَّةُ الهمداني: الزمهرير: البرد القاطع. وقال مقاتل بن حيان: هو شيءٌ مثل رؤوس الإبر ينزل من السماء في غاية البرد. وقال ابن مسعود: هو لونٌ من العذاب^(٤)، وهو البرد الشديد، حتى إنَّ أهل النار إذا ألقوا فيه سألوا الله أن يعذبهم بالنار ألف سنة أهونَ عليهم من عذاب الزمهرير يومًا واحدًا. قال أبو النجم:

أو كنت ريحًا كنت زَمهريرًا^(٥)

وقال ثعلب: الزَمهرير: القمر بلغة طيِّبٍ؛ قال شاعرهم:

وليلةٌ ظلامُها قد اعتكَّر قَطَعْتُها والزَمهريرُ ما زَهَرَ^(٦)

(١) ديوانه ص ١٤٥، وفيه: مبتلة الخلق، مثل المهامة...، وقيله:

فَبانَ بحسناةٍ بِرَاقَةٍ على أن في الطرف منها فتورا

طفلة: رخصة ناعمة. مبتلة الخلق: متناسقة الأعضاء باللغة الحسن. المهامة: بقرة الوحش.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٩٢)، وابن ماجه (٤٣١٩) واللفظ له. وأخرجه أحمد (٧٧٢٢)، والبخاري

(٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧) من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه. وسلف الحديث ٣٧٠/١٧.

(٣) لم نقف عليه مرفوعاً، وقد أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٥٢٥)، وابن أبي شيبة ١٣/١٠٠ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً.

(٤) أخرجه الطبري ٥٥٢/٢٣.

(٥) لم نقف عليه.

(٦) النكت والعيون ٦/١٦٩، والكشاف ٤/١٩٧، ووقع في (د)، والنكت والعيون: ما ظهر.

ويروى: ما ظهر، أي: لم يطلع القمر. فالمعنى: لا يرون فيها شمسًا كشمس الدنيا ولا قمرًا كقمر الدنيا، أي: إنهم في ضياء مستديم، لا ليل فيه ولا نهار؛ لأنَّ ضوء النهار بالشمس، وضوء الليل بالقمر. وقد مضى هذا المعنى مجودًا في سورة مريم عند قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [الآية: ٦٢].

وقال ابن عباس: بينما أهل الجنة في الجنة إذ رأوا نوراً ظنوه شمسًا، قد أشرقت بذلك النور الجنة، فيقولون: قال ربنا: ﴿لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ فما هذا النور؟ فيقول لهم رضوان: ليست هذه شمس ولا قمر، ولكنَّ هذه فاطمة وعليّ ضحكا، فأشرقت الجنان من نور ضحكهما، وفيهما أنزل الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ وأنشد:

أنا مولى لفتى أنزل فيه هل أتى
ذاك عليّ المرتضى وابن عم المصطفى^(١)

قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ أي: ظلُّ الأشجار في الجنة قريبة من الأبرار، فهي مُظَلَّةٌ عليهم زيادةً في نعيمهم، وإن كان لا شمس ولا قمر ثمَّ؛ كما أن أمشاطهم الذهب والفضة، وإن كان لا وسخ ولا شعث ثمَّ. ويقال: إنَّ ارتفاع الأشجار في الجنة مقدار مئة عام، فإذا انتهى وليُّ الله ثمرتها تدانت منه حتى يتناولها.

وانتصب «دانية» على الحال عطفًا على «مُتَكِّين» كما تقول: في الدار عبدُ الله متكئًا ومرسلةً عليه الجبال. وقيل: انتصب نعتًا للجنة، أي: وجزاهم جنةً دانيةً، فهي صفةٌ لموصوف محذوف. وقيل: على موضع «لا يرون فيها شمسًا ولا زَمْهَرِيرًا» ويرون دانيةً. وقيل: على المدح، أي: دنت دانيةً. قاله الفراء^(٢). «ظلالها» الظلال مرفوعة بدانية، ولو قرئ برفع «دانية» على أن تكون الظلال مبتدأ و«دانية» الخبر

(١) خير واضح البطلان.

(٢) في معاني القرآن ٣/٢١٦، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/١٠٠، ومشكل إعراب القرآن ٢/٧٨٤

لجواز، وتكون الجملة في موضع الحال من الهاء والميم في «وجزأهم». وقد قرئ بذلك^(١). وفي قراءة عبد الله: «وَدَانِيَا عَلَيَّهِمْ»^(٢)؛ لتقدم الفعل. وفي حرف أبي: «وَدَانٍ»^(٣) رفع على الاستئناف.

﴿وَذُلَّتْ﴾ أي: سُحِّرَتْ لهم ﴿قُطُوفُهَا﴾ أي: ثمارها ﴿تَذَلِيلًا﴾ أي: تسخيرًا، فيتناولها القائم والقاعد والمضطجع، لا يَرُدُّ أَيْدِيَهُمْ عنها بَعْدُ ولا شوك؛ قاله قتادة. وقال مجاهد: إن قام أحد ارتفعت له، وإن جلس تَدَلَّتْ عليه، وإن اضطجع دنت منه فأكل منها^(٤). وعنه أيضًا: أرض الجنة من ورق، وترابها الزعفران، وطيبها مسكٌ أذفر، وأصول شجرها ذهبٌ وورق، وأفنانها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت، والثمر تحت ذلك كله؛ فَمَنْ أَكَلَ منها قائمًا لم تؤذِهِ، وَمَنْ أَكَلَ منها قاعدًا لم تؤذِهِ، وَمَنْ أَكَلَ منها مضطجعًا لم تؤذِهِ^(٥). وقال ابن عباس: إذا هَمَّ أن يتناول من ثمارها، تَدَلَّتْ إليه حتى يتناول منها ما يريد^(٦).

وتذليل القطوف: تسهيل التناول. والقطوف: الثمار، الواحد: قِطْفٌ، بكسر القاف، سُمِّيَ به لأنه يُقَطَّفُ، كما سُمِّيَ الْجَنَى لأنه يُجْنَى. «تَذَلِيلًا» تأكيد لما وُصِفَ به من الذَّلِّ؛ كقوله: ﴿وَنَزَّلْنَاهُ نَزْرِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

الماوردي^(٧): ويحتمل أن يكون تذليلُ قُطُوفِهَا أن تَبَرَّرَ لهم من أكمامها، وتَخْلُصَ لهم مِنْ نَوَاهَا.

(١) الكشاف ٤/١٩٧، والقراءة شاذة.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/٢١٦، وإعراب القرآن للنحاس ٥/١٠١.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٦٦، وإعراب القرآن ٥/١٠١.

(٤) أخرجهما الطبري ٢٣/٥٥٣ - ٥٥٤.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/٩٥.

(٦) الوسيط للواحد ٤/٤٠٣.

(٧) في النكت والعيون ٦/١٧٠.

قلت: وفي هذا بُعد؛ فقد روى ابن المبارك قال: أخبرنا سفيان، عن حماد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: نخل الجنة: جذوعها زُمرد أخضر، وكُرْبُها ذهب أحمر، وَسَعْفُها كُسوة لأهل الجنة، منها مُقَطَّعاتهم وحُللهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشدُّ بياضاً من اللَّبن، وأحلى من العسل، وألين من الزُّبد، ليس فيه عَجَم^(١).

قال أبو جعفر النَّحَّاس: ويقال: المذلل: الذي قد ذلَّه الماء، أي: أرواه. ويقال: المذلل: الذي يُفَيْئُهُ أدنى ريح؛ لنعمته، ويقال: المذلل: المُسَوَّى؛ لأنَّ أهل الحجاز يقولون: ذُلُّ نَخْلِكَ، أي: سَوَّه، ويقال: المُذَّلُّ: القريب المتناول؛ من قولهم: حائط ذليل، أي: قصير. قال أبو جعفر: وهذه الأقوال التي حكيناها ذكرها أهل العلم باللغة وقالوها في قول امرئ القيس:

وساق كأنبوب السقي المذلل^(٢)

قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَآئِنَةٍ مِّنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فَضَّةٍ

فَدَرَوْهَا نَقِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَآئِنَةٍ مِّنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ أي: يدور على هؤلاء الأبرار الخدم إذا أرادوا الشراب «بآئنة من فضة». قال ابن عباس: ليس في الدنيا شيء ممَّا

(١) أخرجه البغوي في شرح السنة (٤٣٨٤) من طريق ابن المبارك بهذا الإسناد. وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة ٩٧/٢، وهناد في الزهد (٩٩)، وابن أبي حاتم ٣٣٢٨/١٠ (١٨٧٥٨)، والحاكم ٤٧٥/٢ - ٤٧٦ من طرق عن سفيان، به. وأخرجه المروزي في زيادات الزهد (١٤٨٨) عن عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن حماد، عن سعيد بن جبير قال.. ولم يذكر ابن عباس. قال محققه: زاد في (ك): عن ابن عباس. اهـ. وأخرجه أيضاً عبد الرزاق (٢٠٨٧٠) عن معمر، عن قتادة أو غيره، عن سعيد بن جبير قال.. ولم يذكر ابن عباس رضي الله عنهما. الكَرَب، بالتحريك: أصل السَّعْف. وقيل: ما يبقى من أصوله في النخلة بعد القطع. العَجَم، بالتحريك: النوى. النهاية (كرب) (عجم).

(٢) شرح الديوان ص ١٧. وصدرة: وكشح لطيف كالجديل مخصَّر. قال شارحه: الكشح: الخصر. الجديل: زمام يتخذ من سيور، وهو لِين. السقي: النخل المسقي.

في الجنة إلا الأسماء، أي: ما في الجنة أشرف وأعلى وأنقى. ثم لم تُنف الأواني الذهبية، بل المعنى: يُسقون في أواني الفضة، وقد يسقون في أواني الذهب. وقد قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١]. وقيل: نَبَّ بِذِكْرِ الْفِضَّةِ عَلَى الذَّهَبِ؛ كقوله: ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أي: والبرد؛ فنَبَّ بذكر أحدهما على الثاني.

والأكواب: الكيزان العظام التي لا آذان لها ولا عُرى، الواحد منها كوب؛ وقال عدي:

مُكِنَّا تُفْرَعُ أَبْوَابُهُ يَسْعَى عَلَيْهِ الْعَبْدُ بِالْكُوبِ
وقد مضى في «الزخرف»^(١).

﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا . قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ﴾ أي: في صفاء القوارير وبياض الفضة؛ فصفاؤها صفاء الزجاج وهي من فضة. وقيل: أرض الجنة من فضة، والأواني تتخذ من تربة الأرض التي هي منها. ذكره ابن عباس، وقال: ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيت في الدنيا شبهه، إلا القوارير من فضة^(٢). وقال: لو أخذت فضة من فضة الدنيا فضرت بها حتى تجعلها مثل جناح الدُّبَاب، لم تَرَمِ ورائها الماء، ولكن قوارير الجنة مثل الفضة في صفاء القوارير^(٣).

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ قراءة العامة بفتح القاف والdal؛ أي: قَدَّرَهَا لَهُم السُّقَاة الَّذِينَ يَطُوفُونَ بِهَا عَلَيْهِمْ. قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: أتوا بها على قَدَرِ رِيْهِمْ بِغَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ. الكلبي^(٤): وذلك أَلْدُّ وَأَشْهَى؛ والمعنى: قَدَّرْتُهَا الْمَلَائِكَةُ الَّتِي

(١) ٨٢ - ٨١/١٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٣٠١/٦.

(٣) بعدها في النسخ الخطية: المكعب. والأثر ذكره أبو الليث في تفسيره ٤٣١/٣، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير ٣٣٨/٢، والبيهقي في البعث والنشور (٣٤٨).

(٤) ذكر قوله وقول مجاهد الماوردي في النكت والعيون ١٧٠/٦، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٥٥٨/٢٣.

تطوف عليهم. وعن ابن عباس أيضاً: قَدَّرُوهَا على مِلاء الكَفِّ لا تزيد ولا تنقص، حتى لا تُؤذِيَهُمْ بثقل أو بإفراطٍ صِغَر. وقيل: إِنَّ الشارِبِينَ قَدَّرُوا لها مقادير في أنفسهم، على ما اشتهوا وقَدَّرُوا.

وقرأ عبيد بن عمير^(١) والشَّعْبِيُّ وابن سيرين: «قَدَّرُوهَا» بضم القاف وكسر الدال؛ أي: جعلت لهم على قدر إرادتهم. وذكر هذه القراءة المهدويُّ عن عليِّ وابن عباس رضي الله عنهما^(٢)؛ وقال: وَمَنْ قرأ: «قَدَّرُوهَا» فهو راجعٌ إلى معنى القراءة الأخرى، وكأنَّ الأصل: قُدِّرُوا عليها، فحذف حرف الجر؛ والمعنى قُدِّرَتْ عليهم؛ وأنشد سيبويه:

أَلَيْتَ حَبَّ الْعِرَاقِ الدَّهْرَ أَكَلَهُ وَالْحَبُّ يَأْكُلُهُ فِي الْقَرْيَةِ الشُّوسُ^(٣)
 وذهب إلى أنَّ المعنى: على حَبِّ الْعِرَاقِ.

وقيل: هذا التقدير هو أنَّ الأقداح تطير فتغترف بمقدار شهوة الشارب؛ وذلك قوله تعالى: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي: لا يُفْضَلُ عن الرِّيِّ ولا ينقص منه، فقد أُلْهِمَتْ الأقداحُ معرفةَ مقدارِ رِيِّ المشتبه حتى تغترف بذلك المقدار. ذكر هذا القول الترمذيُّ الحكيم في «نوادِر الأصول»^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَسُقُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ وهي الخمر في الإناء. ﴿كَانَ زِنَاجُهَا زَنْجِيلاً﴾ «كَانَ» صِلَةٌ؛ أي: مزاجها زنجيل، أو كان في حكم الله زنجيلاً. وكانت العرب تستلذُّ من الشراب ما يُمزج بالزنجيل لطيب رائحته؛ لأنه يَحْدُو اللسان، وَيَهْضِمُ المأكول^(٥)،

(١) في إعراب القرآن للنحاس ١٠١/٥ - ١٠٢: عبد الله بن عبيد بن عمير، وينظر القراءات الشاذة ص ١٦٦.

(٢) وذكرها عنهما وعن الشعبي ابن خالويه في القراءات الشاذة.

(٣) قائله المتلمس، وهو في ديوانه ص ٩٥، وسلف ٣١٩/٤.

(٤) ص ٣٣٩.

(٥) النكت والعيون ١٧٠/٦، وقوله: يحدو، أي: يقرص.

فرغبوا في نعيم الآخرة بما اعتقدوه نهاية النعمة والطيب.

وقال المسيّب بن علس^(١) يصف نُعْرَ المرأة:

وكان طعمَ الزنجبيل به إذ ذُقْتَهُ وسُلافةَ الخمر^(٢)

ويروى: الكرم. وقال آخر:

كأن جنيًا من الزنجبيل لباتِ بِفِيهَا وأزياً مشورا^(٣)

ونحوه قولُ الأعشى:

كأن القرنفلَ والزنجبيلَ لباتا بِفِيهَا وأزياً مشورا^(٤)

وقال مجاهد: الزنجبيل: اسم للعين التي منها مزاج شراب الأبرار. وكذا قال

قتادة: الزنجبيل: اسم للعين التي يشرب بها المقرَّبون صِرْفًا، وتُمزج لسائر أهل

الجنة^(٥). وقيل: هي عينٌ في الجنة يوجد فيها طعمُ الزنجبيل^(٦). وقيل: إن فيه معنى

الشراب الممزوج بالزنجبيل. والمعنى: كأن فيها زنجبيلًا.

﴿عَيْنًا﴾ بدل من كأس. ويجوز أن ينتصب بإضمار فعل، أي: يُسقون عينًا^(٧).

ويجوز نصبه بإسقاط الخافض، أي: من عين، على ما تقدّم في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا

يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الآية ٦: ٦]. ﴿فِيهَا﴾ أي: في الجنة.

﴿سَمْنٌ سَلْسِيلًا﴾ السلسيل: الشراب اللذيذ، وهو فَعْلِيلٌ من السَّلَاسَة^(٨)؛ تقول

(١) هو من شعراء بكر بن وائل المعدودين، وخال الأعشى، يكنى أبا الفضة، واسمه زهير بن علس، وإنما

لقب «المسيّب» ببيت قاله. وهو جاهلي لم يدرك الإسلام. الشعر والشعراء ١٧٤/١.

(٢) الشعر والشعراء، والنكت والعيون ١٧١/٦، والكشاف ١٩٨/٤، والمحجر الوجيز ٤١٢/٥.

(٣) البيت للأعشى، وهو في ديوانه ص ١٤٣، وفيه: خالط فاهًا، بدل: باتِ بِفِيهَا. الأري: غسل النحل.

شار العسل واشتاره: جمعه.

(٤) الكشاف ١٩٨/٤، وينظر ما قبله.

(٥) أخرجه الطبري ٥٦١/٢٣، وقول مجاهد في النكت والعيون ١٧٠/٦.

(٦) تفسير البغوي ٤٣٠/٤.

(٧) الكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٧٨٥/٢.

(٨) في (د) و(م): السلالة، وينظر إعراب القرآن للنحاس ١٠٢/٥. والكشاف ١٩٩/٤.

العرب: هذا شراب سَلِسٌ وسَلْسَالٌ وسَلْسَلٌ وسَلْسَيْلٌ بمعنى؛ أي: طَيَّبُ الطعم لذيذُه. وفي الصحاح^(١): وتسلسل الماء في الحلق: جرى، وسَلْسَلْتُهُ أنا: صببته فيه، وماء سَلْسَلٌ وسَلْسَالٌ: سهل الدخول في الحلق؛ لعدوبته وصفائه، والسَّلَاسِلُ بالضم مثله. وقال الزجاج^(٢): السَلْسَيْلُ في اللغة: اسمٌ لما كان في غاية السَّلَاسَةِ؛ فكأنَّ العين سمِّيت بصفتها.

وعن مجاهد قال^(٣): سَلْسَيْلًا: حديدة العَجْرِيَّة، تسيل في حلوهم انسلاآ. ونحوه عن ابن عباس: إنها الحديدة العَجْرِيَّة. ذكره الماوردي^(٤)؛ ومنه قول حسان بن ثابت ؓ:

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ
بَرْدِي يُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ^(٥)

وقال أبو العالية ومقاتل: إنما سمِّيت سَلْسَيْلًا؛ لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم، تنبع من أصل العرش من جنة عَدْنٍ إلى أهل الجنة^(٦). وقال قتادة: سَلْسَةٌ منقادٌ ماؤها حيث شاؤوا^(٧). ونحوه عن عكرمة. وقال القفال: أي: تلك عين شريفة فَسَلَّ سَيْلًا إليها. وروي هذا عن عليّ ؓ^(٨).

وقوله: ﴿تَسْنَى﴾ أي: إنها مذكورة عند الملائكة وعند الأبرار وأهل الجنة بهذا

(١) مادة (سلس).

(٢) في معاني القرآن ٥/٢٦١.

(٣) أخرج قوله الطبري ٢٣/٥٦٢.

(٤) في النكت والعيون ٦/١٧١ عن مجاهد.

(٥) ديوانه ص ١٨٠. البريص: موضع بدمشق كما في القاموس (برص). وفي التاج: يقال: البريص اسم للغوطة بأجمعها.

(٦) تفسير البغوي ٤/٤٣٠.

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/٥٦١.

(٨) الكشف ٤/١٩٨، والنكت والعيون ٦/١٧١. قال الزمخشري: وهذا غير مستقيم على ظاهره، إلا أن يراد أن جملة قول القائل: سل سبيلاً، جعلت علماً للعين كما قيل: تأبط شرأ... وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع، وعزوه إلى مثل عليّ ؓ أبداع.

الاسم. وصرف «سلسبيل»؛ لأنه رأس آية؛ كقوله تعالى: ﴿الظُّنُونَا﴾ و﴿السَّيِّلَا﴾ [الأحزاب: ١٠، ٦٧].

قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا ﴿٢١﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَرِيمًا ﴿٢٢﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ بِرُؤْيِهِمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢٣﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ بَيْنَ مَنْ الذي يطوف عليهم بالآنية؛ أي: ويخدمهم ولدان مُخَلَّدُونَ، فإنهم أخفٌ في الخدمة. ثم قال: «مُخَلَّدُونَ» أي: باقون على ما هم عليه من الشَّبَاب والعَضَاضة والحُسْن، لا يَهْرَمُونَ ولا يَتَغَيَّرُونَ، ويكونون على سِنِّ واحدة على مَرِّ الأزمنة. وقيل: مُخَلَّدُونَ لا يموتون. وقيل: مُسَوَّرُونَ مُقَرَّطُونَ، أي: مُحَلَّلُونَ، والتخليد: التحلية. وقد تقدّم هذا^(١).

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا﴾ أي: ظننتهم من حسنهم وكثرتهم وصفاء ألوانهم لؤلؤًا مفرقًا في عُرْصة المجلس، واللؤلؤ إذا نثر على بساط كان أحسن منه منظومًا^(٢).

وعن المأمون أنه ليلة زُفَّت إليه بُوران بنت الحسن بن سهل، وهو على بساط منسوج من ذهب، وقد نثرت عليه نساء دار الخليفة اللؤلؤ، فنظر إليه منثورًا على ذلك البساط، فاستحسن المنظر وقال: لله دَرُّ أَبِي نُوَّاسِ كَأَنَّهُ أَبْصَرَ هَذَا حَيْث يَقُولُ:

كَأَنَّ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا^(٣) حَضْبَاءُ دَرٌّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

وقيل: إنما شبههم بالمنثور؛ لأنهم سراعٌ في الخدمة، بخلاف الحور العين إذ شبههنَّ باللؤلؤ المكنون المخزون؛ لأنهنَّ لا يُمْتَهَنَّ بالخدمة.

(١) ١٨٦/٢٠ - ١٨٧ .

(٢) الوسيط للواحيدي ٤/٤٠٤، وتفسير البغوي ٤/٤٣٠ .

(٣) في (ز) و(م): ففاقعها، وكذا في العقد الفريد ٦/٧٧، والخزانة ٨/٢٧٧. والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في الديوان ص ٤٠، وثمار القلوب للشعالبي ص ١٦٦، ودرة الغواص ص ٥٩، ومجمع الأمثال ١/٣٤، والكشاف ٤/١٩٩، والكلام منه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نِعْمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ «ثَمَّ»: ظرف مكان، أي: هناك في الجنة، والعامل في «ثَمَّ» معنى «رَأَيْتَ» أي: وإذا رأيت ببصرك «ثَمَّ». وقال الفراء^(١): في الكلام «ما» مضمرة؛ أي: وإذا رأيت ما ثَمَّ؛ كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] أي: ما بينكم. وقال الزجاج^(٢): «ما» موصولة بـ «ثَمَّ» على ما ذكره الفراء، ولا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلّة، ولكن «رَأَيْتَ» يتعدى في المعنى إلى «ثَمَّ»، والمعنى: إذا رأيت ببصرك «ثَمَّ». ويعني بـ «ثَمَّ» الجنة، وقد ذكر الفراء^(٣) هذا أيضًا.

والنعيم: سائر ما يُتَنَعَّمُ به. والمُلْكُ الكبير: استئذان الملائكة عليهم؛ قاله السُّدِّيُّ وغيره. قال الكلبي: هو أن يأتي الرسولُ من عند الله بكرامة من الكُسُوة والطعام والشراب والتحف إلى وليِّ الله وهو في منزله، فيستأذن عليه؛ فذلك المُلْكُ العظيم. وقاله^(٤) مقاتل بن سليمان.

وقيل^(٥): المُلْكُ الكبير: هو أن يكون لأحدهم سبعون حاجبًا، حاجبًا دون حاجب؛ فبينما وليُّ الله فيما هو فيه من اللذة والسرور، إذ يستأذن عليه مَلَكٌ من عند الله، قد أرسله الله بكتاب وهدية وتحفة من ربِّ العالمين، لم يرها ذلك الوليُّ في الجنة قط، فيقول للحاجب الخارج: استأذن على وليِّ الله، فإنَّ معي كتابًا وهدية من ربِّ العالمين. فيقول هذا الحاجب للحاجب الذي يليه: هذا رسولٌ من ربِّ العالمين، معه كتاب وهدية يستأذن على وليِّ الله؛ فيستأذن كذلك حتى يبلغ إلى الحاجب الذي يلي وليِّ الله، فيقول له: يا وليِّ الله! هذا رسولٌ من ربِّ العالمين يستأذن عليك،

(١) في معاني القرآن ٣/٢١٨.

(٢) في معاني القرآن ٥/٢٦١، ومثله في إعراب القرآن للنحاس ٥/١٠٣، والكشاف ٤/١٩٩.

(٣) في معاني القرآن ٣/٢١٨.

(٤) في (ظ): وقال. وقول مقاتل والكلبي في الوسيط للواحدى ٤/٤٠٤، وتفسير البغوي ٤/٤٣٠ بمعناه.

(٥) قوله: وقيل، من (م).

مع كتاب وتُحفة من ربِّ العالمين، أفيؤذن له؟ فيقول: نعم! فأذنوا له. فيقول ذلك الحاجب الذي يليه: نَعَمْ فأذنوا له. فيقول الذي يليه للآخر كذلك، حتى يبلغ الحاجب الآخر، فيقول له: نَعَمْ أيها المَلَك؛ قد أذن لك، فيدخل، فيسلم عليه ويقول: السَّلَامُ يُقرئك السَّلَام، وهذه تحفة، وهذا كتاب من ربِّ العالمين إليك. فإذا هو مكتوب عليه: من الحيِّ الذي لا يموت، إلى الحيِّ الذي لا يموت^(١). فيفتحه فإذا فيه: سلام على عبدي ووليتي ورحمتي وبركاتي. يا وليتي، أما أن لك أن تشتاق إلى رؤية ربِّك؟ فيستخفه الشوق، فيركب البُرَاق، فيطير به البُرَاق شوقاً إلى زيارة عَلام الغيوب، فيعطيه ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وقال سفيان الثوري: بلغنا أنَّ المَلِكَ الكبير تسليماً الملائكة عليهم^(٢)؛ دليله قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلِّمْ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

وقيل: المَلِكُ الكبير: كون التَّيجان على رؤوسهم كما تكون على رأس مَلِك من الملوك^(٣).

وقال الترمذي الحكيم: يعني مُلْكُ التكوين، فإذا أرادوا شيئاً قالوا له: كن. وقال أبو بكر الورَّاق: مُلْكٌ لا يتعقبه هُلْكٌ. وفي الخبر عن النبي ﷺ: «إِنَّ المَلِكَ الكبير هو: أدناهم منزلة ينظر في مُلكه مسيرة ألفي عام، يَرَى أقصاه كما يرى أدناه» قال: «وإنَّ أفضلهم منزلةً مَنْ ينظر في وجه ربِّه تعالى كلَّ يومٍ مرتين»^(٤).

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ قرأ نافع وحمزة وابن محيصن:

(١) كذا في النسخ، ولعل المراد أنه خالدٌ فيها لا يموت.

(٢) أخرجه الطبري ٥٦٧/٢٣.

(٣) تفسير أبي الليث ٤٣٢/٣.

(٤) بعدها في (م): سبحان المنعم. والخبر لم نقف عليه، وأخرجه الترمذي (٣٣٣٠) بنحوه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

«عَالِيهِمْ» ساكنة الياء^(١)، واختاره أبو عبيد اعتباراً بقراءة ابن مسعود وابن وثاب وغيرهما: «عَالِيَتُهُمْ»^(٢) وبتفسير ابن عباس: أما رأيت الرجل عليه ثيابٌ يعلوها أفضلٌ منها.

الفراء: وهو مرفوع بالابتداء، وخبره: «ثِيَابٌ سُندُسٍ» واسم الفاعل يراد به الجمع. ويجوز في قول الأخفش أن يكون إفراده على أنه اسم فاعل متقدم، و«ثِيَابٌ» مرتفعة به وسَدَّتْ مسدَّ الخبر، والإضافة فيه في تقدير الانفصال؛ لأنه لم يَمِضْ^(٣)، وابتدئ به لأنه اختصَّ بالإضافة.

وقرأ الباقون: «عَالِيَهُمْ» بالنصب. وقال الفراء^(٤): هو كقولك: فَوَقَّهْم، والعرب تقول: قومك داخل الدار، فينصبون «داخل» على الظرف، لأنه محلّ. وأنكر الزجاج هذا وقال^(٥): هو مما لا نعرفه في الظروف، ولو كان ظرفاً لم يجز إسكان الياء، ولكنه نصب على الحال من شيئين: أحدهما: الهاء والميم في قوله: «يَطُوفُ عَلَيْهِمْ» أي: على الأبرار «وَالِدَانٌ» عالياً الأبرارَ ثيابٌ سندس؛ أي: يطوف عليهم في هذه الحال، والثاني: أن يكون حالاً من الولدان، أي: «إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لَوْلَا مَنُورًا» في حال علو الثيابِ أبدانهم.

وقال أبو علي^(٦): العامل في الحال إمّا «لَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا» وإمّا «جَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا» قال: ويجوز أن يكون ظرفاً فصرف.

المهدوي: ويجوز أن يكون اسم فاعل ظرفاً؛ كقولك: هو ناحية من الدار،

(١) السبعة ص ٦٦٤، والتيسير ص ٢١٨. وقراءة ابن محيصن في المحرر الوجيز ٤١٣/٥.

(٢) قراءة ابن مسعود في معاني القرآن للفراء ٢١٩/٣، وإعراب القرآن للنحاس ١٠٤/٥.

(٣) في (م): يخصّ، والمثبت من النسخ الخطية، وهو الموافق لما في الحجة لأبي علي ٣٥٦/٦.

(٤) في معاني القرآن ٢١٨/٣ - ٢١٩.

(٥) في معاني القرآن ٥/٢٦٢.

(٦) في الحجة ٦/٣٥٤.

وعلى أن «عاليًا» لما كان بمعنى «فوق» أُجْرِي مُجْرَاهُ فَجَعَلَ ظَرْفًا.

وقرأ ابن محيصن وابن كثير وأبو بكر عن عاصم: «خُضِرٌ» بالجرِّ على نعت السُّنْدِسِ، «وَإِسْتَبْرَقٌ» بالرفع نَسَقًا على الثياب، ومعناه: عاليهم^(١) سندسٌ وإستبرقٌ. وقرأ ابن عامر وأبو عمرو ويعقوب: «خُضِرٌ» رفعًا نعتًا للثياب «وَإِسْتَبْرَقٌ» بالخفض نعتًا للسُّنْدِسِ، واختاره أبو عُبيد وأبو حاتم لجودة معناه؛ لأنَّ الخضر أحسن ما كانت نعتًا للثياب، فهي مرفوعة، وأحسن ما عطف الإستبرق على السُّنْدِسِ عطفَ جنسٍ على جنس، والمعنى: عاليهم ثيابٌ خُضِرٌ من سندسٍ وإستبرقٍ، أي: من هذين النوعين.

وقرأ نافع وحفص كلاهما بالرفع، ويكون «خُضِرٌ» نعتًا للثياب؛ لأنهما جميعًا بلفظ الجمع «وَإِسْتَبْرَقٌ» عطفًا على الثياب.

وقرأ الأعمش وابن وثاب وحمزة والكسائي كلاهما بالخفض^(٢)، ويكون قوله: «خُضِرٌ» نعتًا للسُّنْدِسِ، والسُّنْدِسِ اسم جنس، وأجاز الأخفش^(٣) وصف اسم الجنس بالجمع على استقبح له؛ وتقول: أهلك الناسَ الدينارَ الصُّفْرُ والدرهمُ البيضُ؛ ولكنه مستبعدٌ في الكلام. والمعنى على هذه القراءة: عاليهم ثيابٌ سُندسٍ خضرٍ وثيابٌ إستبرقٍ.

وكُلُّهم صرف الاستبرق إلا ابن محيصن، فإنه فتحه ولم يصرفه، فقرأ: «وَإِسْتَبْرَقٌ» نصبًا في موضع الجرِّ، على منع الصرف^(٤)، لأنه أعجميٌّ، وهو غلط، لأنه نكرة يدخله حرفُ التعريف؛ تقول: الإستبرق؛ إلا أن يزعم ابن محيصن أنه قد

(١) في النسخ الخطية: عليهم، والمثبت من (م).

(٢) السبعة ص ٦٦٥، والتيسير ص ٢١٨، والنشر ٢/٣٩. وقراءة الأعمش في إعراب القرآن للنحاس ١٠٤/٥، والمحرم الوجيز ٤١٤/٥، وقراءة ابن وثاب في معاني القرآن للقراء ٢١٩/٣.

(٣) كلامه في الحجة للفارسي ٣٥٧/٦.

(٤) نسب هذه القراءة لابن محيصن الزجاج في معاني القرآن ٥/٢٦٢، وذكرها الزمخشري في الكشاف ١٩٩/٤ - والكلام منه - دون نسبة.

يجعل علمًا لهذا الضرب من الثياب. وقرئ: «وَأَسْتَبْرَقَ» بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمًى باستفعل من البريق^(١)، وليس بصحيح أيضًا؛ لأنه مُعَرَّبٌ مشهور تعريبه، وأن أصله: اسْتَبْرَه^(٢).

والسُّنْدُسُ: ما رَقَّ من الديباج. والإسْتَبْرَقُ: ما غَلُظَ منه. وقد تقدّم^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَعُلُوفًا﴾ عطف على «ويطوف»^(٤) ﴿أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ وفي سورة فاطر: ﴿يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الآية: ٢٣] وفي سورة الحج: ﴿يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الآية: ٢٣]، فليل: حُلِّي الرجل الفضة، وحُلِّي المرأة الذهب. وقيل: تارة يلبسون الذهب وتارة يلبسون الفضة. وقيل: يجمع في يد أحدهم سواران من ذهب وسواران من فضة وسواران من لؤلؤ، ليجتمع لهم محاسن الجنة؛ قاله سعيد ابن المسيّب. وقيل: أي: لكل قوم ما تميل إليه نفوسهم.

﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ قال عليّ ؑ في قوله تعالى: ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ قال: إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة، مرؤا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان، فيشربون من إحداهما، فتجري عليهم بنصرة النعيم، فلا تتغير أبقارهم، ولا تشعث أشعارهم أبدًا، ثم يشربون من الأخرى، فيخرج ما في بطونهم من الأذى، ثم تستقبلهم خزنة الجنة، فيقولون لهم: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبْتُمْ فادخلوها خالدين» [الزمر: ٧٣].

وقال النَّخَعِيُّ وأبو قلابة: هو إذا شربوه بعد أكلهم طهرهم، وصار ما أكلوه وما

(١) هي قراءة ابن محيصن كما في القراءات الشاذة ص ١٦٦، والمحتسب ٣٤٤/٢، وإعراب القرآن للنحاس ١٠٤/٥، والمحزر الوجيز ٤١٤/٥.

(٢) في النسخ: استبرق، والمثبت من الكشاف ١٩٩/٤ والكلام منه، ومعاني القرآن للزجاج ٢٦٢/٥. وفي القاموس (برق): استروه، وينظر التاج (برق).

(٣) ٢٦٦/١٣.

(٤) الكشاف ١٩٩/٤.

شربوه رَشَحَ مِنْكَ، وَضَمَرْتَ بَطُونَهُمْ^(١).

وقال مقاتل: هو من عينِ ماءٍ على باب الجنة، تنبع من ساق شجرة، مَنْ شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غِلٍّ وغشٍّ وحسدٍ، وما كان في جوفه من أذى وقَدْر^(٢).

وهذا معنى ما روي عن عليّ، إلا أنه في قول مقاتل عينٌ واحدة، وعليه فيكون قَعُولًا للمبالغة، ولا يكون فيه حُجَّةٌ للحنفِيّ أنه بمعنى الطاهر. وقد مضى بيانه في سورة الفرقان، والحمد لله^(٣).

وقال طيّب^(٤) الجمال: صَلَّيْتُ خَلْفَ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَتَمَةِ، فَقَرَأَ: ﴿وَسَقَنَهُمْ زُبَيْبًا شَرَابًا طَهُورًا﴾ وجعل يُحْرِكُ شَفْتَيْهِ وَفَمَهُ، كَأَنَّهُ يَمَصُّ شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَّغَ قِيلَ لَهُ: أَتَشْرَبُ أَمْ تَقْرَأُ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ لَمْ أَجِدْ لَذَّةَ عِنْدَ قِرَاءَتِهِ كَلَّذَّةَ عِنْدَ شَرْبِهِ مَا قَرَأْتَهُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ أي: يقال لهم: إنما هذا جزاءٌ لكم، أي: ثواب. ﴿وَكَانَ سَعْيَكُمْ﴾ أي: عملكم ﴿مَشْكُورًا﴾ أي: من قبل الله، وشكره للعبد قبول طاعته، وثناؤه عليه، وإثابته إياه.

وروي سعيد عن قتادة قال: غَفَرَ لَهُمُ الذَّنْبَ، وَشَكَرَ لَهُمُ الْحَسَنَ^(٥). وقال مجاهد: «مَشْكُورًا» أي: مقبولًا، والمعنى متقارب؛ فإنه سبحانه إذا قبل العمل شكره، فإذا شكره أثاب عليه بالجزيل؛ إذ هو سبحانه ذو الفضل العظيم.

روي عن ابن عمر: أَنَّ رَجُلًا حَبَشِيًّا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَضَّلْتُمْ عَلَيْنَا بِالصُّورِ

(١) أخرجه الطبري ٥٦٩/٢٣ - ٥٧٠ عن إبراهيم التيمي وأبي قلابة بنحوه. ونسبه للنخعي وأبي قلابة ابن عطية في المحرر الوجيز ٤١٤/٥، وينظر الوسيط للواحد ٤٠٥/٤، وتفسير البغوي ٤٣٠/٤.

(٢) الوسيط للواحد ٤٠٥/٤، وتفسير البغوي ٤٣١/٤ بنحوه.

(٣) ٤٢٢/١٥ فما بعد.

(٤) في النسخ الخطية: طيب، ولم تقف عليه.

(٥) في (م): الحسنی. والمثبت من النسخ الخطية، وهو موافق لما في تفسير الطبري ٥٧١/٢٣.

والألوان والنبوة، أفرأيت إن آمنتُ بما آمنتَ به، وعملتُ بما عملت، أكائنُ أنا معك في الجنة؟ قال: «نعم»، والذي نفسي بيده إنه ليُرى بياضُ الأسود في الجنة وضيأؤه من مسيرة ألفِ عام» ثم قال النبي ﷺ: «مَن قال: لا إله إلا الله، كان له بها عند الله عهد، ومَن قال: سبحان الله والحمد لله، كان له بها عند الله مئة ألفِ حسنةٍ وأربعةٌ وعشرون ألفَ حسنةٍ»، فقال الرجل: كيف نَهلك بعد هذا يا رسول الله؟ فقال: «إنَّ الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وُضع على جبلٍ لأثقله. فتجيء النعمة من نعم الله، فتكاد أن تستنفد ذلك كله، إلا أن يُلطف الله برحمته». قال: ثم نزلت: ﴿هَذَا أَنَّى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مَنَ الدَّهْرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ قال الحبيشي: يا رسول الله! وإنَّ عيني لترى ما ترى عينك في الجنة؟ فقال النبي ﷺ: «نعم» فبكى الحبيشي حتى فاضت نفسه. قال ابن عمر: فلقد رأيت رسول الله ﷺ يُدليه في حفرتِه^(١) ويقول: «إنَّ هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً» قلنا: يا رسول الله، وما هو؟ قال: «والذي نفسي بيده لقد أوقفه الله ثم قال: أي عبدي! لأبيضنَّ وجهك، ولأبوئننك من الجنة حيث شئت، فنعم أجر العاملين».

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ۝١٣ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آئِمًّا أَوْ كَفُورًا ۝١٤ وَأَذْكُرْ اتِّمَّ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝١٥ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝١٦﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾ ما افتريته ولا جئت به من عندك، ولا من تلقاء نفسك كما يدعيه المشركون. ووجه اتصال هذه الآية بما قبلُ أنه سبحانه لما ذكر أصناف الوعد والوعيد، بيَّن أنَّ هذا الكتاب يتضمن ما بالناس حاجةً إليه، فليس بسحر ولا كهانة، ولا شعر، وأنه حق. وقال ابن عباس: أنزل القرآن متفرقاً،

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٦٠٤)، والكبير (١٣٥٩٥)، وأبو نعيم في الحلية ٣/٣١٩ دون الزيادة الآتية. بعده. قال أبو نعيم: هذا حديث غريب من حديث عطاء، تفرد به عفيف عن أيوب بن عتبة اليمامي. وقال الهيثمي في المجمع ١٠/٤٢٠: فيه أيوب بن عتبة، وهو ضعيف.

آية بعد آية، ولم ينزل جملة واحدة^(١)؛ فلذلك قال: «نَزَّلْنَا». وقد مضى القول في هذا مبيِّنًا، والحمد لله^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: لقضاء ربك. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: اصبر على أذى المشركين؛ هكذا قضيت. ثم نسخ بآية القتال^(٣). وقيل: أي: اصبر لما حكم به عليك من الطاعات، أو انتظر حكم الله إذ وعدك أنه ينصرك عليهم، ولا تستعجل فإنه كائن لا محالة.

﴿وَلَا تَطَّعْ بِهِنَّ مَائِمًا﴾ أي: ذا إثم ﴿أَوْ كُفُورًا﴾ أي: لا تطع الكفار. فروى معمر عن قتادة قال: قال أبو جهل: إن رأيت محمدًا يُصلي لأطأن على عنقه. فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطَّعْ بِهِنَّ مَائِمًا أَوْ كُفُورًا﴾^(٤).

ويقال: نزلت في عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة، وكانا أتيا رسول الله ﷺ يعرضان عليه الأموال والتزويج، على أن يترك ذكر النبوة، ففيهما نزلت: ﴿وَلَا تَطَّعْ بِهِنَّ مَائِمًا أَوْ كُفُورًا﴾. قال مقاتل: الذي عرض التزويج عتبة بن ربيعة؛ قال: إن بناتي من أجمل نساء قريش، فأنا أزوجه ابنتي بغير مهر وارجع عن هذا الأمر. وقال الوليد: إن كنت صنعت ما صنعت لأجل المال، فأنا أعطيك من المال حتى ترضى وارجع عن هذا الأمر. فنزلت^(٥).

ثم قيل: «أو» في قوله تعالى: ﴿مَائِمًا أَوْ كُفُورًا﴾ أوكد من الواو؛ لأن الواو إذا قلت: لا تطع زيدًا وعمرًا، فأطاع أحدهما كان غير عاص؛ لأنه أمره ألا يطيع الاثنين، فإذا قال: ﴿لَا تَطَّعْ بِهِنَّ مَائِمًا أَوْ كُفُورًا﴾ فـ «أو» قد دللت على أن كل واحد

(١) تفسير البغوي ٤/٤٣١.

(٢) ٤٠٦/١٥ فما بعد.

(٣) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٨/٤٤٠: والمفسرون يقولون: هذا منسوخ بآية السيف، ولا يصح.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/٥٧٢.

(٥) الكلام بنحوه في تفسير البغوي ٤/٤٣١، وينظر تفسير أبي الليث ٣/٤٣٢ - ٤٣٣.

منهما أهلٌ أن يُعصى؛ كما أنك إذا قلت: لا تخالف الحسن أو ابن سيرين، أو أتبع الحسن أو ابن سيرين، فقد قلت: هذان أهلٌ أن يُتبعوا، وكلُّ واحد منهما أهلٌ لأن يُتبع؛ قاله الزجاج^(١).

وقال الفراء: «أو» هنا بمنزلة «لا»، كأنه قال: ولا كفورًا؛ قال الشاعر:

لا وَجَدْتُكَ لِي كما وَجَدْتُ ولا وَجَدْتُ عَجُولٍ أَضَلَّهَا رُبْعُ
أو وَجَدْتُ شَيْخٍ أَضَلَّ نَاقَتَهُ يَوْمَ تَوَافَى الْحَجِيحُ فاندفعوا
أراد: ولا وَجَدْتُ شَيْخًا^(٢).

وقيل: الآثم: المنافق، والكفور: الكافر الذي يُظهر الكفر، أي: لا تطع منهم آثمًا ولا كفورًا. وهو قريبٌ من قول الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: صلِّ لربِّك أولَ النهار وآخره، ففي أوله صلاةُ الصبح، وفي آخره صلاةُ الظهر والعصر ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ يعني صلاة المغرب والعشاء الآخرة ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ يعني التطوُّع في الليل؛ قاله ابن حبيب.

وقال ابن عباس وسفيان: كلُّ تسبيح في القرآن فهو صلاة^(٣). وقيل: هو الذكر المطلق، سواء كان في الصلاة أو في غيرها.

وقال ابن زيد وغيره: إنَّ قوله: ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ منسوخٌ بالصلوات

(١) في معاني القرآن ٥/٢٦٣.

(٢) معاني القرآن ٣/٢١٩ - ٢٢٠، والبيتان في أمالي أبي علي ٢/١٢٣ منسوبين لمالك بن حريم، والبيت الثاني في الكامل ٢/٦٠٩ غير منسوب، وذكر محققه: أنه جاء في زيادات إحدى النسخ: لرجل من قضاة يقال له: مالك بن عمرو. قوله: العجول: الثكلى، والواله من النساء والإبل؛ لعجلتها في حركاتها جزعاً. رُبِع: الفصيل يُنتج في الربيع، وهو أول النَّساج. القاموس (عجل) (ربيع).

(٣) النكت والعيون ٦/١٧٢ - ١٧٣، وليس فيه: قاله ابن حبيب.

الخمس. وقيل: هو ندب. وقيل: هو مخصوص بالنبي ﷺ^(١). وقد تقدّم القول في مثله في سورة المزمل^(٢). وقول ابن حبيب حسن.

وجمع الأصيل: الأصائل والأصل؛ كقولك: سَفَائِنٌ وَسُفْنٌ؛ قال:
ولا بأحسنَ منها إذ دنا الأصل^(٣)

وقال في الأصائل، وهو جمع الجمع:

لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْبَيْتُ أَحْرَمُ أَهْلَهُ وَأَقْعُدُ فِي أَفْيَائِهِ بِالْأَصَائِلِ^(٤)
وقد مضى هذا في آخر «الأعراف» مستوفى. ودخلت «مِن» على الظرف للتبعيض، كما دخلت على المفعول في قوله تعالى: ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾^(٥)
[نوح: ٤].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيُدْرُونَ وِرَاءَهُمْ يَوْمًا نَقِيلًا ﴿٧٧﴾ نَحْنُ
خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْتَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾: توبيخ وتقرير، والمراد أهل مكة.
والعاجلة: الدنيا ﴿وَيُدْرُونَ﴾ أي: ويدعون ﴿وِرَاءَهُمْ﴾ أي: بين أيديهم ﴿يَوْمًا نَقِيلًا﴾
أي: عسيرًا شديدًا^(٦)، كما قال: ﴿فَنَقَلْتَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٧] أي:
يتركون الإيمان بيوم القيامة.

(١) الكلام بنحوه في إعراب القرآن ١٠٨/٥، والناسخ والمنسوخ للنحاس ١٣٣/٣، وأحكام القرآن لابن العربي ١٨٨٧/٤، وتفسير أبي الليث ٤٣٣/٣. ورجح ابن العربي أنه للندب.

(٢) ص ٣٢٠ من هذا الجزء.

(٣) قائله الأعشى، وهو في ديوانه ص ١٠٧، وصدوره: يوماً بأطيب منها نشر رائحة، وسلف ٤٣٥/٩.

(٤) قائله أبو ذؤيب الهذلي، وهو في ديوان الهذليين ١٤١/١، وسلف ٤٣٥/٩.

(٥) الكشاف ٢٠٠/٤.

(٦) الكلام بنحوه في الوسيط للواحدى ٤٠٦/٤، وتفسير البغوي ٤٣١/٤، وينظر الكشاف ٢٠٠/٤.

وقيل: «وَرَاءَهُمْ» أي: خلفهم^(١)، أي: ويدرون الآخرة خلف ظهورهم، فلا يعملون لها.

وقيل: نزلت في اليهود فيما كتموه من صفة الرسول ﷺ وصحة نبوته. وحبهم العاجلة: أخذهم الرشا على ما كتموه.

وقيل: أراد المنافقين؛ لاستبطانهم الكفر وطلب الدنيا. والآية تعم. واليوم الثقيل يوم القيامة. وإنما سمي ثقيلاً لشدائده وأحواله. وقيل: للقضاء فيه بين عباده^(٢).

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ﴾ أي: من طين. ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ أي: خلقهم؛ قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل وغيرهم^(٣). والأسر: الخلق؛ قال أبو عبيد: يقال: فرس شديد الأسر، أي: الخلق. ويقال: أسره الله جل ثناؤه: إذا شدد خلقه؛ قال لبيد:

سَاهِمُ الْوَجْهِ شَدِيدُ أَسْرِهِ مُشْرِفُ الْحَارِكِ مَحْبُوكُ الْكَتْدِ^(٤)
وقال الأخطل:

مِنْ كُلِّ مُجْتَنِبٍ شَدِيدِ أَسْرِهِ سَلِسِ الْقِيَادِ تَخَالِهِ مُخْتَالًا^(٥)
وقال أبو هريرة والحسن والربيع: شددنا مفاصلهم وأوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والعصب^(٦).

وقال مجاهد في تفسير الأسر: هو الشرج، أي: إذا خرج الغائط والبول

(١) ذكره أبو الليث في تفسيره ٤٣٣/٣ عن مجاهد.

(٢) النكت والعيون ١٧٣/٦.

(٣) أخرج قولهم الطبري ٥٧٥/٢٣ - ٥٧٦ عدا قول مقاتل، وهو في تفسير البغوي ٤٣١/٤.

(٤) شرح ديوانه ص ١٨٧ برواية: مُغْبَطُ الْحَارِكِ مَحْبُوكُ الْكَفْلِ. الحارك: فروع الكتفين، وهو أيضاً الكاهل. النبيط: قتب اليهودج، فقوله: مغبط الحارك، أي: كأن ظهره غبيط. محبوك الكفل: مدمج فيه استواء مع ارتفاع. الكتد: موصل العنق في الظهر.

(٥) ديوانه ص ٤٦.

(٦) قول أبي هريرة ﷺ أخرجه الطبري ٥٧٦/٢٣، وقول الحسن في الوسيط للواحدى ٤٠٦/٤، وتفسير البغوي ٤٣١/٤، وقول الربيع في المحرر الوجيز ٤١٥/٥.

تَقْبِضَ الْمَوْضِعَ^(١).

وقال ابن زيد: الأسر: القوّة^(٢). وقال ابن أحمر يصف فرساً:

يَمْشِي بِأَوْظْفَةٍ شِدَادٍ أَسْرَهَا صُمَّ^(٣) السَّنَابِكِ لَا تَقِي بِالْجَدَجِدِ
واشتقاقه من الإسار، وهو القيد الذي يشدُّ به الأفتاب؛ يقال: أَسْرْتُ الْقَتَبَ
أَسْرًا، أي: شددته وربطته؛ ويقال: ما أحسن أَسْرَ قَتَبِهِ، أي: شدّه وربّطه^(٤)؛ ومنه
قولهم: خذه بِأَسْرِهِ: إذا أرادوا أن يقولوا: هو لك كلّه؛ كأنهم أرادوا تَعْكِيمَهُ^(٥) وشدّه
لم يُفْتَحَ ولم يُنْقَصَ منه شيء. ومنه الأسير، لأنه كان يُكْتَفَّ بالإسار. والكلام خرج
مَخْرَجَ الامتنان عليهم بالنعم حين قابلوها بالمعصية. أي: سَوَّيْتُ خَلْقَكَ وَأَحْكَمْتُهُ
بالقوى ثم أنت تكفر بي!

﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْتَلَهُمْ بَدِيلًا﴾ قال ابن عباس: يقول: لو نشاء لأهلكناهم وجئنا
بأطوعَ لله منهم. وعنه أيضاً: لغيرنا محاسنهم إلى أسمع الصور وأقبحها. كذلك روى
الضحّاك عنه. والأوّل رواه عنه أبو صالح.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٣٦﴾ وَمَا تَشَاءُونَ
إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٥﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ
وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ أي: السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ أي: موعظة ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ﴾

(١) الوسيط للواحدى ٤/٤٠٦، وتفسير البغوي ٤/٤٣١.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/٥٧٦.

(٣) في النسخ الخطية: شم، وهو موافق لما في كتاب الحيوان للجاحظ ٣/٥٢٣، والمثبت من (م)، وهو موافق لما في النكت والعيون ٦/١٧٣. الأوظفة: جمع وظيف: وهو مستدق الذراع والساق من الخيل ومن الإبل وغيرها. السنايك: جمع سنّيك: وهو طرف الحافر. الجدد: الأرض الصلبة المستوية. القاموس (وظف) (سنبك) (جدد).

(٤) الكلام بنحوه في تفسير غريب القرآن ص ٥٠٤.

(٥) عكم المتاع: شدّه. الصحاح (عكم).

إِلَىٰ رَبِّي سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ أي: طريقًا موصلًا إلى طاعته وطلب مرضاته. وقيل: «سَبِيلًا» أي: وسيلة. وقيل: وجهةً وطريقًا إلى الجنة. والمعنى واحد.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ أي: الطاعة والاستقامة واتخاذ السبيل إلى الله ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ فأخبر أن الأمر إليه سبحانه ليس إليهم، وأنه لا تُنفذ مشيئة أحدٍ ولا تتقدّم. إلا أن تتقدّم مشيئته.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «وَمَا يَشَاؤُونَ» بالياء على معنى الخبر عنهم. والباقون بالتاء على معنى المخاطبة لله سبحانه^(١). وقيل: إن الآية الأولى منسوخةً بالثانية. والأشبه أنه ليس بنسخ، بل هو تبين أن ذلك لا يكون إلا بمشيئته.

قال الفراء^(٢): «وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» جوابٌ لقوله: «فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا» ثم أخبرهم أن الأمر ليس إليهم فقال: «وَمَا تَشَاؤُونَ» ذلك السبيل ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ لكم.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بأعمالكم ﴿حَكِيمًا﴾ في أمره ونهيهِ لكم. وقد مضى في غير موضع.

﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ أي: يدخله الجنة راحمًا له ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ أي: ويعذب الظالمين، فنصبه بإضمار: يعذب. قال الزجاج^(٣): نصب الظالمين لأن قبله منصوب، أي: يُدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين، أي: المشركين، ويكون ﴿أَعَدَّ لَهُمْ﴾ تفسيرًا لهذا المضمَر؛ كما قال الشاعر:

أصبحتُ لا أحمل السُّلاحَ ولا أم لك رأسَ البعيرِ إن نَفَرَا
والذُّئبَ أخشاهُ إن مررتُ به وحدي وأخشى الرِّيحَ والمَطَرَا^(٤)

(١) التيسير ص ٢١٨، وينظر السبعة ص ٦٦٥، وقرأ: يشاؤون، بالياء، أيضاً: ابن عامر الشامي.

(٢) في معاني القرآن ٣/ ٢٢٠.

(٣) في معاني القرآن ٥/ ٢٦٤.

(٤) البيتان للربيع بن ضبع الفزاري، وهما في الأمالي لأبي علي ٢/ ١٨٥، وجمهرة الأمثال ١/ ٢٣٧،

ومجمع الأمثال ٢/ ١٨٠.

أي: أخشى الذئب أخشاه.

قال الزجاج^(١): والاختيار النصب وإن جاز الرفع؛ تقول: أعطيت زيدًا وعمراً أعددت له برًا، فيختار النصب، أي: وبرزت عمراً أو أبرُّ عمراً. وقوله: في «حم عسق»: ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَمْتِهِ وَالظَّالِمُونَ﴾^(٢) ارتفع لأنه لم يذكر بعده فعل يقع عليه فينصب في المعنى؛ فلم يجز العطف على المنصوب قبله، فارتفع بالابتداء، وها هنا قوله: ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ يدل على: ويعذب، فجاز النصب.

وقرأ أبان بن عثمان: «وَالظَّالِمُونَ» رفعًا بالابتداء^(٣)، والخبر ﴿أَعَدَّ لَهُمْ﴾.

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: مؤلماً موجعاً. وقد تقدّم هذا في سورة البقرة وغيرها^(٤)، والحمد لله. ختمت السورة.

(١) في معاني القرآن ٢٦٤/٥.

(٢) تمامها: ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٨].

(٣) القراءات الشاذة ص ١٦٦، والمحتسب ٣٤٤/٢.

(٤) ٣٠١/١.